د. داوُد سلّوم

الشخصيّة العربيّة

في روايات أمريكا اللاتينيّة



دار الجيل
بيروت



الشخصية العربية

في روايات أمريكا اللاتينية



د. داود سلوم

الشخصية العربية
في روايات أمريكا اللاتينية

دار الجيل
بيروت

الطبعة الأولى
١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م

توطئة

قال جورج أمادو الروائي البرازيلي:

«إن الدم العربي لعب دورًا من أكبر الأدوار شأنًا في ديمقراطيتنا العرقية، في مساهمتنا في الثقافة العالمية، وفي نزوعنا الإنساني. لقد اندمج السوريون واللبنانيون والعرب من البقاع الأخرى أيضًا مع البرتغالي والزنجي ومع السلافي والاسباني في هذا الخليط العجيب الذي أنجب الإنسان البرازيلي، وفي وسط هؤلاء كان العربي ـ والله ـ برازيليًا صميمًا منذ اليوم الأول. إنه هاهنا في الحكم، وفي البرلمان وفي الفنون وفي الأدب وإنه هاهنا يعمل في الأرض ويؤرث التجارة ويخلق الصناعة بقدرته على العمل والأحلام.

ومع هذه الرابطة العميقة فما الذي يعلمه أحدنا عن الآخر؟ ما الذي نعلمه عن أرومتنا العربية؟ عن ثقافتها، عن فنها عن أدبها لا شيء أو تقريبًا لا شيء. ما الذي يعلمونه هم عنا؟ عن ثقافتنا؟ عن أدبنا؟ عمليًا لا شيء.

إن بين سورية والبرازيل كل هذا الدم الجامع، كل هذه الأخوة، كل هذه الحياة المعاشة ونحن، مع ذلك كالغرباء.

إن الحدود الثقافية للبرازيل هي اليوم حدود أخرى. وإنني لفي حاجة إلى تبادل حقيقي واقعي على تلك الثقافات التي تمازجت لتخلق ثقافتنا ومن بينها الثقافة العظيمة للشعب العربي»[1].

---

(١) نقلاً عن كتاب: «دراسات في اللغة والأدب والحضارة» (القسم الأول): الدكتور محمود الربداوي، مؤسسة الرسالة. بيروت ١٤٠٠ هـ: ١٩٨٠م ص ١٦٨ .



تمهيد

في البحث العلمي

لا ينظر إلى الجامعات في كل العالم على أنها دور تعليم بقدر ما ينظر إليها على أنها مراكز بحث ومعرفة وتطوير هذه المعرفة وقد يسأل سائل: ومن قال لك أن الأمر غير هذا؟ فلماذا التمهيد بهذه البديهة التي يؤمن بها كل مثقف.

لقد مهدت بهذه البديهية لأضع أمام السائل حقيقة واحدة عن كيفية تعامل مؤسساتنا الثقافية مع التفرغ العلمي، إلا أني لا أجزم إذا كانت هذه «المعاملة» المستغربة تقليدًا أكاديميًا مع جميع الباحثين أو معي أنا بالذات فهي في الحالتين تستحق النظر في تواريخ طلب التفرغ العلمي لإجراء هذا البحث:

١ - قدمت طلبي للتفرغ العلمي إلى قسم اللغة العربية في ٢٨/ ١٠/ ١٩٩٠ كما هو مثبت في استمارة التفرغ الخاصة بذلك.
٢ - ولم يقدم الطلب إلى مجلس الكلية (وبين القسم ومجلس الكلية أقل من ٢٠٠م) إلا في ١٤/١/ ١٩٩١.
٣ - ولم يرسل الطلب من إدارة الكلية إلى الجامعة إلا في ٢٣/ ٥/ ١٩٩١.
٤ - وبقيت الجامعة ما بين ٢٣/ ٥/ ١٩٩١ و ٣١/ ٨/ ١٩٩١ تستفسر عن الباحث إذا كان يعرف اللغة الانكليزية وأنا في الجامعة منذ أكثر من ثلاثين سنة وخريج جامعة لندن عام ١٩٥٨.
٥ - أقرّ طلبي في مجلس الجامعة في ٢٨/ ١٠/ ١٩٩١.

٦ - ولم يصدر أمر الانفكاك إلا في ١٩٩١/١٢/٢٧ أي بعد مرور شهرين على صدور أمر الجامعة بالموافقة.

إذا سأل أي مسؤول في الجامعة لماذا هذا التأخير في أية محطة إدارية من هذه المحطات التي ذكرتها فعليه أن يسأل تلك المحطة وخاصة قسم اللغة العربية عن السبب. فتقديم الطلب لكتابة هذا البحث حتى صدور البحث قد استغرق اربعة عشر (١٤) شهرًا واستغرقت كتابة البحث حتى نهاية حزيران ١٩٩٢ ستة (٦) أشهر وهذا من أغرب ما رأيت في أية جامعة حيث تكون المدة المخصصة لإذن التفرغ في كتابة بحث ما هي أكثر من ضعف المدة التي تستغرقها فترة كتابة البحث ذاته. وإذا كانت الجامعات العراقية تسير بهذا البطء في تشجيع البحث العلمي فما أظن أن مصير تقدمه سيكون مصيرًا يتفاءل به المرء.

وبعد:

فهذا البحث قد تمّ، وأنا مدين به للذين أمدّوا لي يد العون على أي مستوى لإكمال البحث فأشكر للسادة الذين أعاروني بعض المصادر مثل د. جميل نصيف والسيد كمال العجيلي أو الذين بحثوا لي عن بعضها مثل السيد داود سلمان جميلهم وأشكر للدكتور عباس السعدي في قسم الجغرافية رسم خارطة لتوزيع الأدب اللاتيني في الأقطار الثلاثة التي كانت موضوع الدرس وللدكتور هادي الحمداني خطوطه عنوان البحث وفصوله وللسيد عوني الديري توثيق طباعة رواية تريزا باتيستا باللغة البرتغالية ويبقى البحث كما قلت في الخاتمة يحتاج إلى جوابي سؤالين كان يمكن أن يجاب عنهما لو سهلت مهمة الباحث للسفر إلى تلك البيئة التي اهتمت بالشخصية العربية في أدبها.

وأدعو الله أن يوفق من بأيديهم أمور البحث العلمي أن يروا الخير في الآخرين كما يرون الخير في أنفسهم دائمًا وأبدًا.

د. داود سلوم

أستاذ في قسم اللغة العربية

كلية الأداب. جامعة بغداد ١٦/ ٥/ ١٩٩٢

المقدمة

الأثر الأجنبي من الداخل

(مؤثر جديد في الدراسات المقارنة)

أفرز بحثنا هذا مؤثرًا جديدًا في الدراسات المقارنة لم يلتفت إليه منظرو الدراسات المقارنة من قبل وقد أسميناه بـ (الأثر الأجنبي من الداخل) ونُقابله بالترجمة الإنكليزية Inside Forgein Influence وسنذكره مختصرًا في بحثنا هذا ونرمز له بالحروف .I.F.I

وفي سبيل إشهار هذا المصطلح وإحلاله مكانه الملائم في الدراسات المقارنة فإننا نريد أن نوضح المقصود به قبل مقارنته بكتب نظريات الأدب المقارن نقصد بهذا أن تؤثر الجاليات الأجنبية المقيمة في سيرتها وطبيعة حياتها في صياغة شخصيات أدب أمة من الأمم وليس من خلال أدبها أو صحافتها، فالجاليات العربية في أمريكا سافرت إلى هناك تحمل معها طابعها الإنساني ومرحها وحبها للحياة وجدّها بالعمل والمغامرة في سبيل الرزق. ووجد كتاب أمريكا اللاتينية في السلوك العربي هذا وفي مظهر الشخصية الجذاب الذي يتجسد في جمال العينين والشعر الأسود ولون البشرة المظهر العام مما جعلهم يجدون فيها شخصية جديدة لا تتوفر في بيئتهم الاجتماعية، وبذلك نقل الكاتب في أمريكا اللاتينية هذا النموذج البشري وضمّنه شخصيات رواياته وأبقاه عربيًا في سلوكه وتصرفه بل في اسمه أيضًا.

هذا النقل عن الجاليات المقيمة يعد إضافة لشخصيات أية أمة من الأمم يعد عاملاً جديدًا في الدراسات المقارنة قد أهملته النظريات المسطورة في المؤثر والتأثير.

فلو تتبعنا هذه الكتب الأجنبية التي تكلمت عن المؤثرات نراها تغفل هذا الجانب إهمالاً مطلقًا.

إن فان تيجم في كتابه (الأدب المقارن) الذي رسم منهجًا لكل الباحثين في هذه الدراسات كان أول من أشار إلى الوسطاء وأثرهم في الآداب الأجنبية.[١]

إن فان تيجم قد أشار إلى أثر الجاليات الاجنبية في آداب الأمم الأخرى بترجمة أدب هذه الجاليات إلى تلك اللغات الأجنبية وهذا مؤثر كلاسيكي يقوم على الدراسة المنظمة لأدب أجنبي ترجم في بلد المتأثر به أو نقل إليه عن طريق الرواية أو الترجمة المسبقة[٢] ويمكن أن يتم تأثر الجاليات في الداخل أو في بلادها الأصلية بعد العودة من خلال الندوات والنقد والصحف والمجلات والترجمة والمترجمين[٣] وهذا أمر آخر غير ما نريد أن نؤكده هنا. وبذلك يكون فان تيجم قد أغفل أثر الجاليات المقيمة سلوكيًا في أدب أمةٍ ما، فالمهاجرون القلة الذين يحلّون في بلد كثير السكان متأصل الأدب كثيرًا ما يغفل امرهم ويكون الكاتب مشغولاً بأحداث مجتمعه الضخمة التي يتفاعل معها فلا يجد مكانًا لأية شخصية أجنبية تعيش على الهامش ولم يتجاوز ماريوس فرانسوا جوبار في كتابه الأدب المقارن ما قاله فان تيجم من قبل وهو قد قسّم المؤثرات إلى قسمين:

١ - المعارف اللغوية[٤]:

وضمنها معرفة اللغة الأجنبية والترجمات والمؤلفات النقدية والمجلات والصحف والرحلات.

---

(١) الأدب المقارن. الباب الثاني ـ الفصل السابع ص ١٥٨.
(٢) المصدر نفسه ص ١٥٩.
(٣) المصدر نفسه ص ١٦٠، ١٦٢، ١٦٤.
(٤) الأدب المقارن: جوبار ص ٢٧، ٢٨، ٣٠، ٣٣.

٢ - الوسائط الأدبية [(١)]:

الأشخاص والبيئة وأثرها في المهاجرين من البلد والرّحالون.

وهو بذلك يكون قد تجاوز أيضًا أثر الجاليات المقيمة في أدب البلاد التي تقيم فيها تلك الجاليات الأجنبية. وأن كلود بيشوا وأندريه ميشيل روسو في (الادب المقارن) يتبعان خط من سبقهما بذكر هذه المؤثرات ولا يخرجان في الفصل الطويل الذي كتباه عما ذكره فان تيجم وجوبار مع محاولتهما إضافة بعض الجزئيات المؤثرة كالدراسات الجامعية والحياة الاجتماعية في بلاطات الأمراء وما شابه[(٢)].

ويرى ألكساندر ديما في كتابه (مبادىء علم الأدب المقارن) أن مجمل النشاط الأجنبي الذي يؤثر في أدب أمة أجنبية يساعد على خلق شخصية متخيلة لتلك الأمة في أدب الأمة المتأثرة[(٣)] ومثيل ذلك صورة العربي في الأدب الأوربي من خلال ألف ليلة وليلة وهذا ليس الذي نشير إليه في اكتشافنا لهذا المؤثر.

ويركز اس. اس براور في كتابه (الدراسات الأدبية المقارنة ـ مدخل) على الأثر والتأثير بين النماذج الكلاسيكية في الآداب المختلفة[(٤)] وهذا لا يمس ما نريده. لا من قريب أو بعيد وإذا عدنا لتتبع المؤثرات في كتب الدراسات المقارنة العربية فإننا نحاول اكتشاف ما قاله العرب حول ذلك.

إن أول كتاب تنظيري هو الأدب المقارن لمحمد غنيمي هلال الذي طبع في القاهرة عام ١٩٥٣ وقد تكلم غنيمي هلال في الفصل الرابع عن عوامل انتقال الأدب من لغة إلى لغة نظرًا إلى الموضوعات التالية:

١ - دراسة الأنواع الأدبية.

٢ - دراسة الموضوعات الأدبية (مثل دون جوان أو فاوست).

---

(١) المصدر نفسه ص ٣٩.

(٢) الأدب المقارن كلود بيشوا وأندريه ميشيل روسو ص ٣٨-٩٢.

(٣) مبادىء علم الأدب المقارن ص ١٢٣.

(٤) الدراسات الأدبية المقارنة ص ٧٥ و ص ١٠٥ و ص ١٤١.

٣ - تأثير كاتب ما في أدب أمة أخرى.
٤ - دراسة مصادر الكتاب.
٥ - دراسة التيارات الفكرية.
٦ - دراسة بلد ما كما يصوره أدب أمة أخرى[١].

وأشار إشارة سريعة إلى أثر الهجرات[٢] ولم يفصِّل في ذلك وبذلك يكون قد تخطى أثر الجاليات المقيمة في أدب البلاد التي تقيم فيها تلك الجاليات.

ويمكن أن نتخطى عددًا من المصادر التي اهتمت بالجانب التطبيقي أكثر مما اهتمت بالجانب التنظيري مثل كتاب (في الأدب المقارن ـ دراسة في نظرية الأدب والشعر القصصي) للدكتور محمد عبد السلام كفافي (بيروت ١٩٧١) وكتاب (الادب المقارن) للدكتور طه ندا (بيروت ١٩٧٥) وكتاب (دراسات في الأدب المقارن) للدكتور بديع محمد جمعة (بيروت ١٩٨٠) وكتاب (النظرية والتطبيق في الأدب المقارن) للدكتور ابراهيم عبد الرحمن محمد (بيروت ١٩٨٢) وقد تعرض في شيء من الإيجاز إلى الجانب التنظيري وكتاب (مقدمة في نظرية المقارنة) لعز الدين المناصرة (عمان ١٩٨٨) وتكلم الدكتور حسام الخطيب في كتاب (الأدب المقارن) الجزء الأول في النظرية والتطبيق (دمشق ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م) عن المؤثرات التي حصرها في الفصل الرابع في المبادلات الأدبية وقصر ذلك على الموضوعات والمواقف والأفكار ثم النماذج[٣].

وتكلم كذلك في الفصل الخامس عن دور الترجمة في المبادلات الأدبية[٤] ووقف عند هذا. وترسم الدكتور رجاء عبد المنعم جبر خطى كتاب الأدب المقارن لكلود بيشوا واندريه روسو الذي ترجمه إلى العربية في كتابه (الأدب المقارن بين النظرية والتطبيق، القاهرة ١٩٨٦) وهو الكتاب الذي

---

(١) الأدب المقارن: محمد غنيمي هلال ص ٩٢-١٠٠.
(٢) المصدر نفسه ص ١١٥.
(٣) الأدب المقارن: حسام الخطيب ص ١٤٦ وص ١٥٠.
(٤) المصدر نفسه ص ١٦٩.

خصصه لشرح هذا الكتاب المترجم وبذلك لم يخرج الكتاب على المؤثرات عما طرحه بيشوا وروسو في كتابهما فقد ذكر من هذه المؤثرات:

المبادلات الأدبية ومعرفة اللغات، والرحالة وأدب الرحلات والكتب والصحف والترجمات والمترجمين والشهرة والنجاح والتأثير والمصادر[١]، وتكلم الدكتور محمود طرشونة في كتابه (مدخل إلى الادب المقارن وتطبيقه على ألف ليلة وليلة - تونس ١٩٨٦) عن الوسطاء في الفصل الرابع وعن المصادر والإشعاع في الفصل الخامس[٢] وبذلك يكون قد تخطى هؤلاء الباحثون هذا المؤثر الجديد الذي اسميناه (الأثر الأجنبي من الداخل) I.F.I ولم يلتفتوا إليه مطلقًا ولهذا رأينا أن نقف عليه وقفة قصيرة نشرحه بما يفيد بحثنا هذا.

إن (الأثر الأجنبي من الداخل) I.F.I أول ما ظهر تطبيقًا في أدب بلدان العالم الثالث مثل بلدان الشرق الأوسط وخصوصًا في أدب مصر وأدب العراق. ولعل صورة الشخصية الأجنبية المحتلة ذات الصفة الواحدة إذ تميزها القسوة المحتلة والمغتصبة للاستقلال قد ظهرت في الأدب العراقي خاصة الشعر عند الرصافي والزهاوي ومدرستهما.

وفي الثلاثينات وما بعدها توضحت صورة المحتل المقيم بالإكراه في أرض مصر وانعكست هذه الصورة في أدب نجيب محفوظ في الثلاثية وغيرها ولا تعكس صورة هذا الأجنبي إلا قسوة المحتل وتطاير رصاصه في المظاهرات وصورة السجون لأحرار مصر[٣].

---

(١) الأدب المقارن بين النظرية والتطبيق ص ١٤٦ و ص ١٦٩.

(٢) مدخل إلى الأدب المقارن ص ٤٦ و ص ٥٣.

(٣) «حكايات حارتنا» من قصص نجيب محفوظ التي طبعت عام ١٩٧٥ لأول مرة فيها صور عن طفولة نجيب محفوظ ويعكس صورة الإنكليز المقيمين في مصر من الخارج في بعض هذه القصص (ففي الحكاية رقم ١٢) نقرأ ما يلي:
«واعترف بعض الشيء معاني الألفاظ الجديدة، سعد زغلول، مالطه، السلطان، الوطن، وأعرف بوضوح أكثر الفرسان البريطانيين والرصاص والموت».
وفي (الحكاية رقم ١٥) نقرأ ما يلي:
«وتصبح دوريات الإنجليز منظرًا مألوفًا لدينا نمعن في الجنود النظر بذهول ونقارن بين ما نسمع عن وحشيتهم وما نرى من جمال وجوههم وأناقتهم ونتعجب».

ويمكن أن نفترض أن أدبًا مثل هذا عكس صورة المحتل المقيم في البلاد العربية كافة ولعل الأدب الهندي مع معاشرة الصورة الأجنبية لمدة ثلاثة قرون قد أفرز شيئًا من هذا ويصدق هذا الغرض على الأدب الإفريقي وأدب أمريكا اللاتينية فمن الممكن إذن أن نلخص (الأثر الأجنبي من الداخل) I.F.I في مرحلته الأولى أنه عكس صورة واحدة للمقيم الأجنبي المحتل ولذلك فإن صورة الأجنبي في الأدب ـ ذات سمة واحدة وشخصية وهي شخصية بسيطة Flat Character اي لا تعكس إلا صفة واحدة هي: القسوة وما تجر من الأذى والاستغلال ومعاناة الشعوب المحتلة. فصورة الأجنبي هذه لا تعكس شيئاً عن تصرف المحتل الاجتماعي وحياته القريبة لأنه شخصية عسكرية يعيش في معسكر ولا يختلط بالناس ولا يتعامل معهم إلا في أضيق الحدود.

ولكن الأمر يختلف حين يعكس الأثر الأجنبي من الداخل I.F.I حياة الجالية المسالمة المقيمة لأن ذلك يساعد الكاتب على الغوص في الشخصية الأجنبية ليصورها في سلوكها اليومي الاعتيادي فتحمل خصائصها الذاتية لتمثل على مسرح الكاتب حياتها اليومية المفصلة وبهذا تختلف حياة الشخصية في الجالية المقيمة المسالمة عن الشخصية العسكرية المحتلة فنحن في حالة النظر في صورة المحتل لا نعرفها إلا من صفة سلبية واحدة هي القسوة وفي الحالة الأخرى تعايش الشخصية في أدقّ ظروف حياتها حتى تكون جزءًا من عالم الرواية وتؤثر في القارىء وكأنه يعرفها عن قرب وفي الحالتين لا تظهر صورة المرأة واضحة فالمرأة الأوربية في الجيوش المحتلة لا تقترب من عالم الرجل في البلد المحتل وأن المرأة وخاصة في الجاليات العربية المقيمة في أمريكا تقيم في البيت ولا تعمل إلا على نطاق ضيق بعيدة عن متناول الكتاب.

هذا هو الأثر الواقعي. وإن كتاب العالم الثالث أقل ثقافة تاريخية من الأوربيين المستعمرين الذين يعرفون كثيرًا عن الشعوب التي استعمروها وقد ينعكس ذلك على كتّابهم أيضًا ولذلك فإن كتّاب العالم الثالث قد يعكسون أثرًا وهميًا وهو ما يمثل الصورة المتخيّلة عن شعب من الشعوب، وفي الغالب تكون هذه الصورة صورة مشوّهة تقوم على الثقافة الناقصة والصورة الخرافية التي تقوم على الأساطير أو الصورة الموروثة السلبية مثل صورة

العربي في أفريقيا التي تقترن بالنخاسة وتجارة العبيد وهي صورة تخفي الحقيقة عما قدمه العربي لثقافة أفريقيا وتطوير الإنسان فيها. وأن صورة الأجنبي المقيم ـ مثل صورة العربي ـ أوضح ما تكون في أدب أمريكا اللاتينية بسبب التركيبة المختلطة لهذه المجتمعات وتركيز الشخصية العربية الكثيف في المدن الصغيرة والقرى هناك، ولذلك فلا نستغرب إذا ما رأينا اختفاء هذه الصورة كليًّا في المجتمعات الغربية المستقرة كما في الولايات المتحدة وأوربا لأن التركيبة الاجتماعية مستقرة منذ قرون قبل مجيء النازحين المقيمين الذين يردون على قلة فكأنّهم قطرة الحبر في نهر جار لا تترك صدى أو أثرًا إلا على أساس الطرافة والغرابة إذا وقع ذلك.

فإن صورة الصيني أو الياباني مثلاً قد تنعكس على قلة في أدب كتاب الولايات المتحدة الذين يعيشون في مجتمعات تتركز فيها هذه الجاليات الأجنبية المقيمة ولا نكاد نشعر بأثر يذكر لشخصية العربي في أدب أمريكا الشمالية عند الأدباء الكبار في الوقت الذي تنعكس فيه بوضوح في أدب أمريكا اللاتينية ذات التركيبة الاجتماعية المتفاعلة والحديثة نسبيًّا في بيئات اجتماعية تتقارب فيها الأجناس فيكونون كأهل القرى التي يعرف أهلها بعضهم بعضًا.

ويمكن أن نقعّد بعض القواعد لهذا الأثر الأجنبي من الداخل بما يلي:

١ - إنه أدب يمثل سلوك الجاليات الموقوتة (الجاليات المستعمرة) والجاليات المقيمة.

٢ - إنه ينعكس في المجتمعات حديثة التكوين التي تتكون من عناصر اجتماعية ذات أصول مختلفة نزحت من أوطانها لتكوين الوحدة الاجتماعية الجديدة.

٣ - يظهر هذا الأدب في الغالب في أدب العالم الثالث.

٤ - يقل ظهوره أو يندر في المجتمعات المغلقة المتكاملة التي تمثل وحدة ثقافية أو دينية كالمجتمع الأوربي ومجتمع الولايات المتحدة حيث يكون العنصر الأجنبي الدخيل ذا نسبة ضئيلة من مجمل السكان في تلك البيئة.

٥ - تظهر صورة الشخصيات في (الجاليات المحتلة) ذات صفة واحدة تقوم على القسوة والاستعباد والأذى فهي شخصية بسيطة Flat character وتظهر صورة الشخصيات في (الجاليات المقيمة) شخصية معقدة Complicated character.

٦ - إن سلوك هذه الشخصيات في (الجاليات المقيمة) قد يكون له أثر في نمط السلوك الاجتماعي في البلد الذي تقيم فيه الجاليات المقيمة مما يؤدي إلى تغيير في نمط الحياة العامة بسبب هذه الصورة التي يقدمها الكاتب عن شخصيات تلك الجالية وتصبح تلك الشخصيات نموذجًا Type character يمكن أن يقلده القارىء ويصبح سلوكه مقبولاً تتبناه جماهير القراء فيصبح نموذجًا مؤثرًا في الحياة والسلوك والأدب.

الباب الأول

التاريخ والحياة الاجتماعية



الفصل الأول

المهاد التأريخي

١

نريد في هذا البحث استخراج صورة الشخصية العربية وما حول هذه الصورة من تطورات تاريخية كما تعكسها هذه «الروايات»، وبذلك نريد أن نصل إلى الانطباع النفسي الذي يتركه العربي وسلوكه في نفوس كتاب هذه الروايات التي تعكس تصور الكتاب والجمهور في البلد الذي يعيش فيه الكاتب الذي ندرس بعض أعماله أو عددًا من آثاره. كيف نحدد أدب أمريكا اللاتينية؟

لا شك في أن الكلام يدور حول أدب أمريكا الجنوبية حين نأتي بمصطلح «أمريكا اللاتينية». ولا بأس أن نطّلع على رأي أحد مؤرخي هذا الأدب في الموضوع.

يقول أحد كتاب «أدب أمريكا اللاتينية، قضايا ومشكلات» ما يأتي:

«ورغم ذلك يظل تعبير أمريكا اللاتينية تعبيرًا غير دقيق بصورة واضحة. فما هي أمريكا اللاتينية؟ في المقام الأول: لماذا نسميها لاتينية؟

لقد بدأت كلمة (اللاتينية) من الليسيوم ـ وهو إقليم صغير مجاور لمدينة روما. وأخذت تنمو في دوائر متحدة المركز على طول التاريخ ضمت أولاً إيطاليا كلها ثم اتّسعت بعدها للجزء من أوربا الذي استعمرته الأمبراطورية الرومانية لتعود فتقتصر على البلدان والمناطق التي تتحدث بلغات مشتقة من

اللاتينية ثم لتنتقل أخيرًا إلى القارة الأمريكية التي كان أولئك الأوربيون قد اكتشفوها واستعمروها وعلى هذا النحو تصبح (أمريكا اللاتينية) هي الحلقة الرابعة في ذلك التوسع»[١].

وتشمل أمريكا اللاتينية إحدى وعشرين دولة ذات مساحات متفاوتة وهي: «الأرجنتين، بوليفيا، (البرازيل) و(كولومبيا) وكوستا ريكا وكوبا وتشيلي وجمهورية الدومنيكان وأكوادور و(جواتيملا) وهايتي وهندوراس والمكسيك ونيكاراجوا وبنما والباراجواي وبويرتوريكو والسلفادور واوروجواي وفنزويلا»[٢] وتغلب اللغة الاسبانية على سكان هذه الأقطار وبعد عام ١٩٦٠ نشأت خمس دول أخرى تغلب عليها الثقافة الإنكليزية وهي: جامايكا وباربادوس وترينيداد وتوباجو وجويانا[٣].

وقد يثار سؤال عن السبب الذي أثار اهتمام القراء والمترجمين والنقاد بروايات أمريكا اللاتينية في الثلاثين سنة الأخيرة.

ويعطينا الكاتب غالغر مؤلف كتاب «أدب أمريكا اللاتينية الحديث» جواباً واضحاً عن هذا السؤال. يقول: «تكون الروايات الجيدة ناجحة لأنها توضح الأشياء كما هي وليس كما يريد المؤلفون أنفسهم. وأن الروايات التي توضح الأشياء كما هي بعيدة عن التخريب والتأثير السياسي أكثر من الروايات التعليمية.

وتحاول الحكومات ـ وخاصة الدكتاتورية ـ فرض نسخة مبسطة وتعليمية وموحدة للحقيقة ويكفي للروائي أن يقدم فكرة أصيلة معقدة للنسخة الرسمية لتبدو سخيفة ومحدودة إلا إذا أصرّ الروائي على تقديم نسخة تطبع بها في النهاية.

ولعل الأسباب التي جعلت روايات أمريكا اللاتينية في الثلاثين عاماً الماضية تفوق سابقتها الإقليميات أنها لم تتهرب من تعقيدات القضايا التي أمامها»[٤].

---

(١) أدب أمريكا اللاتينية (ق ١) ص ١١.
(٢) أدب أمريكا اللاتينية (ق ١) ص ١٣.
(٣) أدب أمريكا اللاتينية (ق ١) ص ١٣.
(٤) أدب أمريكا اللاتينية الحديث ص ١١٥.

وإذا ما نظرنا في أسباب الهجرة العربية إلى العالم الجديد أعطى المؤرخون أسبابًا مختلفة منها التاريخية ومنها السياسية.

فإن بعضهم يرى:

إن «هجرة السوريين عمومًا ترتد إلى الطبع والجبِلّة التي ورثوها عن أجدادهم الفنيقيين الذين جابوا سواحل البحر الأبيض سرّة العالم المتحضر القديم. ويستشهد الكتاب المحدثون على أصالة هذا الأمر في نفوسهم بما لاقوا من نجاح في المهاجر الأمريكية وغيرها من البلاد التي يمموا شطرها. فقد أصاب نفر منهم الثروة مما وضعه في مصاف رجال المال والأعمال في نيويورك ذاتها فلم تكد تنقضي على هجرتهم إليها بضعة عشر عامًا حتى أصبح فيها قريب من مائة تاجر لا تقل دائرة أعمالهم تصديرًا وتوريدًا عن عشرة ملايين ريال سنويًا كما يقول جورجي زيدان (في الهلال ج ١ عام ١٩٠٧/١٩٠٨ ص ٤٢٥)...»[١]

ويستمر أنصار أسباب الهجرة التاريخية إلى تأكيد ذلك بتصوير هذا النجاح المادي وعدد المهاجرين وخاصةً في أمريكا الشمالية. ولذلك فإن رصد عدد المهاجرين والاهتمام بأخبارهم كان من بين فرضياتهم الجدلية. قال الدكتور حلمي مرزوق نقلاً عن المقتطف والهلال:

«بلغ المهاجرون منهم إلى الولايات المتحدة عام ١٩٠٥ مائتين وخمسين ألفًا كما يقول يوسف جرجيس زخم في المقتطف عام ١٩٠٥ ص ٨٩٣ وأصبح معدل الداخلين إليها من بعد عام ١٩٠٧ حوالي ستة آلاف في تقدير جورجي زيدان»[٢] جاء في (الجزء الأول من الهلال ١٩٠٧/١٩٠٨ ص ٤٢٥)

ولكن الدكتور حلمي مرزوق لم يغفل عن الأسباب السياسية التي أثارت ذلك الحنين التاريخي إلى الهجرة التي أضعفها الانفصال الزمني البعيد بين

---

(١) تطور النقد والتفكير الأدبي الحديث ص ٥٦.
(٢) المصدر نفسه ص ٥٦ (هامش).

الفنيقيين والقرن التاسع عشر ولذلك فإنه يضع يده على أسباب سياسية كانت قد دفعت بهجرة العرب إلى المهجرين الشمالي والجنوبي في أمريكا.

قال:

«إن هناك ملابسات خاصة ألمت بالسوريين أزعجتهم عن لبنان وتلك هي الفتنة العامة التي اجتاحت الجبل عام ١٨٦٠م أدت إليها جملة من الظروف مهدت السبيل لتدخل الدول الأوربية لدى الباب العالي ووضع نظام خاص للحكم في هذه البلاد إلا أن ذلك لم يقضِ على الشعور الداخلي بالاضطهاد التركي فكان ذلك عاملاً مهمًا من عوامل الهجرة والنزوح عن لبنان...»[١].

ويضيف الدكتور عبد الحكيم بلبع أسبابًا إقتصادية وإجتماعية إلى دوافع الهجرة إلى أمريكا ويقول:

«لقد شهد النصف الثاني من القرن التاسع عشر بداية رحلات المهاجرين أفرادًا وجماعات من الأقطار العربية وبخاصة في سوريا ولبنان وفلسطين إلى القارة الأمريكية في شمالها وجنوبها يرتادون مجالها ويفتشون عن الرزق بين جنباتها ويشقون في طريقها الوعر مسالك حياتهم الجديدة التي ركبوا في سبيلها الأخطار وتحملوا من أجلها غربة الأهل والديار والسبب الأساسي الذي كانت ترتكز عليه هذه الظاهرة ظاهرة الهجرة هو ما كان يعانيه هؤلاء المهاجرون في بلادهم من حرمان وشظف من الناحية الاقتصادية ثم من ضغط واضطهاد من الناحيتين السياسية والاجتماعية وذلك على الرغم من كل عوامل النضوج والتفتح التي كانت قد بدأت تعرف طريقها إلى لبنان منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ولكن السلطات العثمانية كانت إذ ذاك ما تزال تفرض ألوانًا من السيطرة على حياة الناس فتصادر كل إحساس بالحرية وتقاوم كل محاولة للفكاك من هذه القيود العنيفة التي أرهقت حياة الناس وأسلمتهم إلى نوبة من الركود الذي يشبه الموت»[٢].

ويصحح الدكتور عبد الحكيم بلبع الصورة الرومانتيكية في الميل

---

(١) المصدر نفسه ص ٥٨ وانظر: كتاب ميثاق ١٩٤٣ لماذا كان؟ وهل سقط؟ ص ٢٧-٤٤.
(٢) حركة التجديد الشعري ص ١٩.

التاريخي إلى الهجرة وفي النجاح الذي أصابه بعضهم في المهجر. فإن البدايات الأولى كانت صعبة للجميع كما أن جوانب الفشل في حياة كثيرين من المهاجرين كانت كثيرة جدًّا وهو ما تؤيده الروايات التي نطّلع عليها في بحثنا هذا... ولذلك فإن الدكتور عبد الحكيم بلبع يعود إلى تأكيد الأسباب الاقتصادية والسياسية أسبابًا للهجرة. وعن معاناة هؤلاء المهاجرين في أرض الغربة يقول:

«إذن لقد بدأت الهجرة مدفوعة بهذين السببين القاهرين: الفقر المدقع والشعور بالغربة والذلة في بلد لا يحكمه أهله ولا يسيطر على مقاليده ذووه»[١].

ولا بأس أن نعطي صورةً عن أيام الهجرة الأولى للعرب وكيف دخلوا الأمريكتين وكانوا مجموعة من «موجة المهجرين وهؤلاء هم الذين اقتلعتهم يد الدهر من مغارسهم في سورية ولبنان وفلسطين والأردن. انتزعتهم من الشواطىء الشرقية لحوض البحر الأبيض المتوسط وطوحت بهم إلى الشواطىء الغربية لبحر الظلمات»[٢].

ويمكن أن نعطي قائمة عن المهاجرين الأول إلى أمريكا في الجدول الآتي[٣]:

إسم المهاجر	المكان	العام	الغرض
الأب الياس الموصلي الكلداني (من بغداد)	فنزويلا	١٦٦٨	السياحة
انطونيوس البشعلاني	الولايات المتحدة	١٨٥٦	الإقامة (ت هناك في ١٨٥٦م)
جيمس بيدرو (لبناني)	أمريكا	١٨٦٩	

(١) المصدر نفسه ص ١٩.
(٢) دراسات في اللغة والأدب ص ١٧٨.
(٣) دراسات في اللغة والأدب ص ١٧٩ و ص ١٨٠ و ص ١٨١.

اسم المهاجر	المكان	العام	الغرض
الأديب ميخائيل رستم	الولايات المتحدة (نيويورك)	قبل ١٨٩٥	الإقامة (وطبع ديوان شعره في ١٨٩٥)
شقيقتان من أسرة زخريا اللبنانية	البرازيل	١٨٧٤	
يوسف مرسي مزيارة	البرازيل	١٨٨٠	

وضمت الهجرة مهاجرين من أقطار عربية مختلفة:

«فقد سبق أهل فلسطين اللبنانيين إلى الهجرة بصورة مصغّرة ولكنهم لم يستقروا جميعًا في البلدان التي نزلوها كما فعل اللبنانيون. كان الفلسطينيون يرتحلون بين القرى الأمريكية حاملين المسابح والأيقونات والتعاويذ المصنوعة في (القدس) لبيعها على المؤمنين من النصارى والمسلمين وقد توافدوا على معرض (شيكاغو) عام ١٨٩٣م فاستطابوا الأرباح في أمريكا الشمالية فمكث بعضهم على حين توغل بعضهم الآخر في الجمهوريات القريبة كـ (الأكوادور) و (كولومبيا) ثم البعيدة (كالبرازيل) و (الأرجنتين) و(الشيلي) بينما اتجه أكثرهم إلى أمريكا الوسطى حيث ندر أن نجد غير الفلسطينيين في الجوالي العربية هنا. وهم الآن كثرة في جمهوريات (تشيلي) ولهم المقام الأرفع في عالم الصناعة والتجارة.

ولم يتوجه المهاجرون باتجاه أمريكا الجنوبية إلا بعد وصولهم إلى الشمال بعشرين عامًا وأقدم هجرة عربية إلى (البرازيل) في هذا العصر كانت عام ١٨٧٤ حين وصلتها شقيقتان لبنانيتان من أسرة (زخريا) وتبعهما خمسون مهاجرًا في الأعوام العشرة التالية ويحكى أن مهاجرًا اسمه (يوسف مرسي - مزيارة) وصل إلى (البرازيل) على مركب شراعي عام ١٨٨٠م ولم يتكاثر عدد المهاجرين في (البرازيل) إلا في نهاية القرن بعد أن عقدت معاهدة بالمهاجرة بين الحكومة (العثمانية) وحكومة (البرازيل) على أثر الزيارة التي قام بها الأمبراطور (بدرو الثاني) لـ (سورية) والأرض المقدسة (فلسطين) سنة ١٨٧٧م. وعاد الأمبراطور بدرو الثاني من الشرق وفي جعبته عشرات النفائس من الكتب العربية موشحة بإهداءات من كبار الأدباء في ذلك الزمان كاللغوي

ابراهيم اليازجي ولعل من أنفسها نسخة من القرآن الكريم ما زالت محفوظة إلى يوم الناس هذا في متحف (بيترولويس)...»[1].

ولا شك في أن العرب المثقفين من المهاجرين قد حملوا نشاطهم العلمي معهم وقد أسسوا الجمعيات الأدبية والنوادي وأصدروا الصحف وقد سجل الربداوي نشاطهم الأدبي بقوله:

«ولا أدل على تعدد النشاط الفكري للعربي في أرض المهجر من مجموعة الظواهر التي نلمحها على شكل نوادٍ أدبية واجتماعية وإصدار مجلات تعنى بكل ألوان الحضارة وإنتاج الشعر المفعم بكل القيم الإنسانية»[2].

وفي الجدول الآتي قائمة بهذه النوادي وأماكن تأسيسها[3]:

النادي	المكان	العام
رواق المعري	سانت باولو (البرازيل)	١٩٣٠ (؟)
الجمعية السورية المتحدة	نيويورك (الولايات المتحدة)	١٩٠٧
الرابطة القلمية	نيويورك (الولايات المتحدة)	١٩٢٠
العصبة الأندلسية	سانت باولو (البرازيل)	١٩٣٣

وكان للمهاجرين ـ كما قلنا ـ نشاطهم الصحفي والأدبي ويذكر الأستاذ الربداوي اسم بعض هذه الصحف والمجلات في قوله:

«أما على صعيد المجلات والصحف التي أسهمت في نشر الكلمة العربية وترسيخها في أمريكا فهو ميدان يستعصي على الحصر. فقد ذكر المؤلفون أول صحيفة عربية صدرت في (البرازيل) هي (الفيحاء) وكان صدورها حدثًا تاريخيًا عظيمًا لأنه شق السبيل البكر إلى القمة التي بلغتها الضاد في العالم الجديد. ثم أنشىء في (البرازيل) ما يزيد على (المائة) من المجلات والجرائد ما زال بعضها يصدر إلى يوم الناس هذا. وإن كانت قد

(١) المصدر نفسه ص ١٨٠-١٨١.
(٢) المصدر نفسه ص ١٨٢-١٨٣
(٣) المصدر نفسه ص ١٨٢-١٨٣.

تقلصت فأصبحت لا تتجاوز (العشر) وكذلك في (الأرجنتين) بلغت الصحف اليومية والمجلات الشهرية حوالي (المائة). (و) تقلصت هي الأخرى فغدت لا تزيد على أصابع اليدين. أما في (أمريكا الشمالية) فعدد الصحف العربية التي عرفتها الجالية فإنه لا يبلغ نصف ما بلغه في البرازيل والأرجنتين. ولم تخل بقية الجمهوريات الأمريكية كـ (المكسيك) و (الأرغواي) و (التشيلي) من مواطنين أقدموا على احتراف الصحافة العربية فأصدروا عددًا من المجلات والصحف السيارة ولكنه لم يصمد طويلاً أمام الصعاب الكثيرة التي حالت دون استمرار أداء الرسالة»[١].

وما دمنا قد لمسنا الجانب التاريخي وأثر الإرث الحضاري في ميل بعض الشعوب للهجرة فلا بأس أن نعطي لمحة سريعة عن أصل الشعب العربي في سوريا ولبنان:

«ويجمع المؤرخون على أن الكنعانيين وفدوا إلى الإقليم السوري من بلاد العرب في هجرة واحدة مع الأموريين في حوالي منتصف الألف الثالث قبل الميلاد حيث أخذ الأموريون يتجولون في شمال سورية ثم استقر بهم المقام في أواسط حوض الفرات بينما استقر الكنعانيون على الساحل واشتهروا فيما بعد باسم الفنيقيين. ونظرًا لما عرف عنهم من مهارة في الملاحة، فإن بعض الباحثين يرى أنهم جاءوا أصلاً من مكان ما في شبه جزيرة العرب يطل على البحر حيث اكتسبوا هذه المهارة مثل سواحل البحر الأحمر أو الخليج العربي قبل أن يفدوا إلى الساحل السوري»[٢].

ويقول الدكتور أبو المحاسن عصفور عن الأمبراطورية الفنيقية وانتشار أهلها ما يلي:

«ففي البداية كانوا ينتقلون في البحر مساحلة أو يقطعون مسافات قصيرة ويفضلون الالتجاء إلى جزر صغيرة أو رؤوس ساحلية يمكن لسفنهم أن ترسو عليها وتحتمي بها من هياج البحر، وينبغي أن تكون خلف هذه الأماكن

---

(١) المصدر نفسه ص ١٨٣-١٨٤.
(٢) المدن الفنيقية ص ١٤.

مناطق داخلية يعيشون فيها مهما صغرت مساحتها على أن يكون بها مصدر أو مصادر للمياه العذبة ولم يكن من الأهمية لهم أن تكون سواحل تلك الأماكن ذات عمق كبير لأن سفنهم لم يكن غاطسها عميق ورسوها في المياه الضحلة كان أكثر أمنًا»[1].

ولا شك في أن انتشاراً حضاريًا واسعًا كهذا الانتشار لا بد له أن يترك صداه التجاري والسياسي والأدبي في آثار الأمم الأخرى. وفي سبيل أن نلمح إلى ما تفعل الهجرة مهما كانت أسبابها من علاقات بين بني البشر فإننا نريد أن نتتبع رسم بعض الشخصيات الفنيقية في الآداب الأوربية في حكاية واحدة وربما تسهل علينا تفسير الأسباب التي انعكست به الشخصية العربية في أدب أمريكا اللاتينية.

إن الشخصية التي رسمها (فرجيل) في (الأنياذة) عن الملكة الحاكمة في ليبيا (ديدو) وذات الأصل الصوري وتعلقها بأنياس أحد أبطال طروادة هو نوع من انعكاس الشخصية الشرقية في الآداب الأجنبية وهو الموضوع الذي نريد أن نخوض فيه بدراسة الروايات اللاتينية لاستخراج الصورة العربية فيها.

نلخص هنا قصة الملكة ديدو وعلاقتها بأنياس الطروادي الذي خرج يبحث عن وطن جديد بعد خراب طروادة. وترد قصة هذه الملكة في الكتاب الرابع من كتاب الأنياذة لفرجيليوس نقرأ قصة الملكة الفنيقية ذات الأصل الصوري (ديدو) وكانت حاكمة مدينة فنيقية على سواحل ليبيا وقد أحبّت أنياس الطروادي الذي هام على وجهه مع أهله وقومه في البحث عن وطن جديد بعد احتلال طروادة. وهذه مقاطع من الأنياذة التي تعبر عن عواطف ديدو بعد نزول أنياس في أراضيها وبعد أن تعلقت به:

قال فرجيل:

«أخذت الملكة ـ وقد أصيبت بجراح الحب الموجعة ـ تغذي جرحها بالدماء التي تجري في شرايينها وأضحت طعمة للهيب الحب الأعمى. ظلت

---

(١) المصدر نفسه ص ٥٣.

خصال بطلها العديدة وعراقة محتده تتردد في مخيلتها. ظلّت نظراته ونبراته عالقة بشغاف قلبها. ولم يدع الحب أطرافها تهدأ أو تركن للراحة...».

واضطرت ديدو إلى الاعتراف بهذا الحب لأختها (أنّا) وقالت لها:

«(أنّا)، أختاه ترى أي أحلام هذه التي تزعجني وتشتت أفكاري أيّ ضيف غريب هذا الذي وفد على ديارنا، ما أنبل محياه!...»

وتشجعها أختها (أنّا) على ترك حزنها على زوجها المتوفى وأن تنعم بالحب والزواج والذرية.

وتستسلم ديدو لهذا الحب وتنعم به من عشيقها الذي لم يكن ينوي الزواج بها أو الإقامة في بلدها وإنما كان مندفعًا للبحث عن مكان آخر يؤسس طروادة الجديدة ولذلك فإنه كان ينوي أن يغادرها دون أن يعلمها بذلك:

«لكن الملكة ـ ومن يستطيع أن يخدع المحب! ـ أحست سلفًا بهذه الخديعة وكانت أول من لاحظت التحركات التالية وأحست بالخوف بالرغم من أن كل الأمور كانت تبدو آمنة...»

ولم تتمكن من الصبر وإخفاء علمها بنيته فقالت له:

«هل داعبك الأمل إذن أيها الجحود في أن تتمكن من خداعي ـ ويا له من جرم فاحش! ـ وأن تنسلّ خلسة من أرضي؟ ألم يدفعك إلى الإحجام عن ذلك حبّنا أو العهد الذي قطعته على نفسك ذات مرة أو ديدو التي صممت على أن تموت ميتة قاسية؟

كلا! فها أنت تعد أسطولك حتى في فصل الشتاء وتسرع إلى الانطلاق في عرض البحر وسط الرياح الشمالية. فيا لك من قاسٍ... أتفر مني إذن؟ إنني أستحلفك بهذه الدموع وبيدك اليمنى تلك حيث إنني لم أترك الآن شيئًا لنفسي أنا التعسة... فمن أجلك جلبت على نفسي كراهية الأمم الليبية، وأمراء النوميديين وأهل صور المعادين. من أجلك ضحيت بحياتي وبسمعتي السابقة التي بها وحدها حلّقت في عالم النجوم. فلمن تهجرني يا ضيفي وأنا مقبلة على الموت؟...» حاول الاعتذار، واندفعت تشتمه وتستنزل عليه

لعنات السماء ثم أغمي عليها فحملها الخادمات إلى غرفتها وبعد ذلك توسلت إلى أختها أن تذهب إلى أنياس وأن تسأله العدول عن هذا السفر ولكنه لم يستجب لالتماس أخت الملكة. ولذلك فقد صممت ديدو على الموت بعد أن هجرها أنياس وحمله البحر بعيدًا عنها.

ودخل عليها الوصيفات في إحدى ليالي العذاب فشاهدنها «ملقاة على نصل السيف وشاهدن الحسام يزبد بدماء متجلطة ويديها ملطختين بالدماء...»

وهكذا انتهت هذه الملكة التي قضى عليها الحب ولم تقض عليها الحرب أو الشيخوخة[1].

---

(١) الانياذة (الكتاب الرابع): لفرجيلوس ص ٢٠٢ - ٢٣٤ .

الفصل الثاني

الصورة الوهمية

إن أغلب المادة لدراسة الصورة العربية في أدب أمريكا اللاتينية ستؤخذ من ثلاثة كتّاب في ثلاثة أقطار مختلفة.

فمن غواتيمالا وهي جمهورية في أمريكا الوسطى سوف نأخذ رواية (السيد الرئيس) التي صدرت لأول مرة في المكسيك عام ١٩٤٦ للكاتب أستورياس (١٨٩٩ ـ ١٩٧٤).

ومن كولومبيا الواقعة في شمال غرب أمريكا الجنوبية سوف ندرس عددًا من روايات ماركيز (ولد سنة ١٩٢٨) وهي: (مائة عام من العزلة) التي صدرت عام ١٩٦٧ وهي من أهم رواياته و (خريف البطريرك) و (وقائع موت معلن) و(ساعة نحس) ومجموعة قصصية بعنوان (مأتم الأم الكبيرة).

ومن البرازيل الواقعة في وسط شرق أمريكا الجنوبية سوف ندرس خمس روايات لجورج أمادو (ولد سنة ١٩١٢) وهي: (أرض ثمارها من ذهب) و(تيريزا باتيستا) و (دروب الجوع) و (غابرييلا) و (طرق الأمل). والرواية التي كان بطلها الرئيس شخصية عربية هي رواية (وقائع موت معلن) ومثلها رواية (غابرييلا) لجورج أمادو، وأن الروايات الأخرى مهمة جدًا في رسم الشخصيات الثانوية وتصوير الأرضية لشخصية الرجل العربي.

إن الصور: الشرقية الكلاسيكية وبقايا الذكريات الحسنة عن العربي في التراث الإنساني وما انعكس منها في أذهان الكتاب يكون صورة غامضة وبقايا ذكريات مشوشة جاءت في الغالب عن القراءة أو مشاهد الطفولة لأشخاص أو أشياء متعلقة بالعربي.

ويظهر هذا الغموض والخلط والتشويش في أدب كتّاب العالم الثالث غالبًا، لأن ثقافة هذه الشعوب التي ينتمون إليها تختلف عن الشعوب الأخرى لا تتسم بالعلمية. وكان كتّاب الشعوب المستعمِرة أقدر على النفاذ إلى دخيلة الشعوب المستعمَرة لإطلاعهم على تاريخ وجغرافية هذه البلدان. فحين يتكلم ماركيز عن (مائة عام من العزلة) وكيف كانت الذكريات تختزن وتتكوّن في ذاكرته وأنها استغرقت وقتًا طويلاً مديدًا لإتمامها وقد امتدّ هذا الوقت حتى زمن الطفولة. قال: «لكن شيئًا واقعًا هو الذي ألهمني ذلك. أتذكره حين كنت صبيًّا صغيرًا في أراكاتاكا أخذني جدي للسيرك لرؤية (الجمل العربي) وحيد السنام»[1]

إن أغلب كتاب أمريكا اللاتينية إشارة إلى الصورة الشرقية الكلاسيكية هو ماركيز في روايتيه (موت البطريرك) و (مائة عام من العزلة) وهي صور استمدّها من قراءة الروايات التاريخية أو كتب التاريخ الخالص وهو يشير إشارة إلى بعض المظاهر الحياتية أو السمات الشخصية للفرد العربي.

قال ماركيز في موت البطريرك:

«كانا يتأملان معًا الصفصاف الملغّز الذي أرسله لهما ملوك (بابل) في عيد الميلاد ذاك كي يفرشاه في حديقة المطر...»[2]

وقال:

«وشاهدنا في المؤخرة الصفصاف (البابلي) الذي نقل بحرًا بجذوره وترابه ونسغه ورذاذه من (آسيا الصغرى) في مستنبتات زجاجية»[3].

وهو في تصوره هذا وذكره (بابل) خلط بين المدينة التاريخية وبلاد شرقية

---

(١) رائحة الجوافة ص ٣٣.

(٢) موت البطريرك ص ١٦٤.

(٣) موت البطريرك ص ١٠ ومثله في رواية (مملكة هذا العالم) لأليخو كاربنتيه (هافانا ـ كوبا) إذ يقول:

في ص ٤٥: «يتصرفون مثل الفلسطينيين القدامى الذين كانوا يعبدون (دوغان) في السفينة»

وفي ص ٩٣: «فكر بعضهم أنه في مدغشقر أو في بلاد فارس أو في بلاد (البربر).»

كثيرة قد تكون العراق أو سورية أو مصر أو تركيا مما يدل على ضعف التصور وهلهلته.

وينقل هذه الصورة المستمدة من كتب السياحة في أغلب الظن ويقول:

«ومن يومها صار يتناول طعامه وحيدًا على طاولته الوحيدة مشيحًا بظهره عن العالم مثل ملوك (مراكش) كما أوضح له (ماريلند) السفير العلامة»[1].

وفي روايته هذه إشارة إلى السجاد الذي يصدّره العرب ولا يصنعونه فأعطاه اسمهم وقال:

«ورغم ذلك لم تكن لتمر أربعة أيام حتى يجد زوجًا من البرصى على (السجادات العربية) في قاعة الاحتفالات»[2].

وخلط في تسمية السوق العربية التي أنشأها التجار العرب وأسماهم بالأتراك فأطلق على السوق اسم السوق البابلية وكأن كل شيء شرقي يحمل الغرابة فهو بابلي ولذلك فإنه يقول:

«وكان يخترق في متاهة السوق (البابلية) موسيقاها القاتلة وشعارات اليانصيب... سلع (الأتراك) المتنوعة المبيضة من لفح الشمس»[3].

كما يخلط الكاتب بين اسم الأتراك والعرب فإنه يخلط في أصل أقواس البناء العربية وينسبها إلى بابل ويقول:

«تخربت تيجان الأعمدة اليونانية المصنوعة من الكرتون الملون وستائر المخمل والأعمدة (البابلية) المتوجة بالنخيل المرمري»[4] وكأنه ينظر هنا إلى أقواس الحمراء في الأندلس.

ولا تخلو رواية (مائة عام من العزلة) من إشارات إلى الشرق والمظاهر الشرقية. وقد تكون بعض معلوماته عن المظهر البدوي مستمدًا من الرقوق السينمائية أو صورة المجلات والجرائد.

---

(١) المصدر نفسه ص ١٨٢.

(٢) المصدر نفسه ص ٢٠٧.

(٣) المصدر نفسه ص ٣٢.

(٤) مائة عام من الهجرة ص ٧٨.

قال عن حفل راقص:

«وساهم حتى انتصف الليل الغرباء الذين تخفوا في زي (البدو)..»[1]

وقال عن جمهور هائج حطّم مقاعد السينما في أول ظهورها ويشرح سبب ذلك:

«والسبب أن أحد الأبطال مات وقبر في أحد الأفلام فذرفوا لعذابه دموعًا سخيَّة لكنه ما لبث أن ظهر في فيلم آخر حيّا وقد تحول إلى (عربي)...»

وبالمعنى نفسه يشير إلى النساء الشرقيات بأنهن نساء بابليات:

«وذات أربعاء مجيد جاءوا بقافلة لا يصدقها الخيال من بغايا وإناث (بابليات) اتقن كل فنون التاريخ»[2]

ويصف جوزيه أركاديو أحد شخصيات (مائة عام من العزلة) ويشبهه بعربي في سمته الصامت الحزين فيقول:

«كان طويلاً، وقور الهيئة، دائم التفكير، حزينًا (كفارس مسلم) على وجهه لمعة كئيبة بلون الخريف»[3]

ولعل هذه اللمحة مستمدة من مطالعته الروايات التاريخية الاسبانية التي وصفت الأبطال العرب وحروبهم مع الاسبان.

ويصف عيني أحد شخصيات الرواية نفسها ويشبههما بالعينين العربيتين ويقول:

«ورأت القديسة صوفيا التقية وأورليانو الثاني عيني جوزيه أركاديو الثاني (العربيتين) في اللحظة التي مرّ النور فيها على وجهه»[4].

---

(١) المصدر نفسه ص ١٩٤.
(٢) المصدر نفسه ص ١٩٧.
(٣) المصدر نفسه ص ٢٢٤.
(٤) المصدر نفسه ص ٢٦٣.

وتمتلىء الروايات بالإشارات إلى الشرق وبضاعته وصناعته فهو يشير إلى التوابل الشرقية بقوله:

«وامتلأ شارع (التركو) بمخازن التوابل المثيرة»[1].

ويشير إلى الجدة أرسولا وقد عبث حفيداها بها في تعليق القلائد والعقود عليها:

«وتخلعت... من المسابح والعقود (العربية) القديمة التي علقاها على جسدها كله»[2].

ويشير إلى الصناعات الشرقية الآتية من المشرق ويقول:

«ورعت البغلة (الستائر الدمشقية) والمخملية الشهوانية»[3].

وتظهر بابل في نص آخر في هذه الرواية كما ظهرت في نصوص سابقة في روايته موت البطريرك قال:

و «(دخل) الضجر البيوت من جديد وهم يجرون قطع الحديد الممغنطة وكأنها آخر ما توصل إليه علماء (بابل)...»[4]

ويقول في مكان آخر مشيرًا إلى النساء اللواتي عشن زمنًا طويلاً في المدينة:

«أما قاعات الحفلات الراقصة فيباب تزينها خرق الأكاليل وأرامل سمان مهترئات لم يتزوجن والجدات الفرنسيات و(الأمهات البابليات) ما زلن ينتظرن حَدَّ الفوتوغرافات ومكبرات أصواتها»[5].

ولم تخل رواية (وقائع موت معلن) من إشارة إلى الصور الرومانتيكية الشرقية المستمدة من كتب السياح أو كتب التاريخ المعاصر والصحافة. قال:

---

(١) المصدر نفسه ص ١٩٧.
(٢) المصدر نفسه ص ٢٨٠.
(٣) المصدر نفسه ص ٢٨٤.
(٤) المصدر نفسه ص ٢٨٩.
(٥) المصدر نفسه ص ٣١٩.

«وجدت ماريا أليكساندرينا سيرفانتيس مستيقظة كعادتها في الفجر وعارية تمامًا كعادتها أيضًا عندما لا يوجد هناك غرباء في البيت. كانت تجلس بطريقة (تركية) على سريرها الملكي مقابل صحن (بابلي) مملوء بالطعام...»(١)

وفي قصص بورخس المعنونة «تقرير برودي وقصص أخرى» إشارة إلى معرفة القارىء في أمريكا اللاتينية بكتاب ألف ليلة وليلة وما فيه من مضامين شرقية. قال:

«لقد اكتشفنا في نسخة الجزء الأول لكتاب ألف ليلة وليلة (لندن ١٨٣٩) الذي أعارني إياه صديقي العزيز بولينو كاينز، المخطوطة التي أترجمها هنا إلى الإسبانية... يبدو أن القارىء (مالك المخطوطة) لم يهتم بحكايات شهرزاد المدهشة بقدر اهتمامه بتقاليد الإسلام»(٢)

إن هذا الذي ذكرناه يمثل ما هو موجود في هذه الروايات موضوع الدرس من أثر شرقي عام وتاريخي والأفكار التي فيها تمثل مجمل معلومات الكاتب ومقدار ثقافته واطلاعه وقد يكون هذا دافعًا محفزًا لاختيار الكاتب شخصياته الشرقية.

---

(١) وقائع موت معلن ص ٨٣.

(٢) تقرير برودي وقصص أخرى ص ١٠٣ ومثله في رواية مستشفى المجاذيب لماشادو دي أسيس (البرازيل).

قال في ص ١٣: «فقرأ كل ما ألف في هذا الموضوع بما فيه المصادر العربية القديمة.

وفي ص ١٨: «إن التفسير الوحيد الذي أراه لهذه الظاهرة تلك الفوضى من اللغات في برج بابل».

وفي ص ٥٦: «حيث كان زوجها يدرس وعند دخولها كان يقرأ نصًا لابن رشد».

الفصل الثالث

الصورة الواقعية

وفي هذا القسم من هذا البحث نحاول أن نتعرف على واقع البيئة العربية في المهجر وكيفية الرؤية التي يراهم بها سكان تلك الأراضي الجديدة التي حل فيها العرب وأن ذلك سيتم استخراجه من خلال الروايات المدروسة نفسها، والصورة هنا لن تكون خلاصة رأي الكاتب وإنما ستكون الصورة التي يحملها الكاتب من بيئته للفرد العربي وحياته اليومية. وقبل أن نمضي في بسط نصوص هذه الصورة نريد أن نضع سؤالاً يبدو محيرًا وهو: لماذا لم تنعكس صورة «العربي» في أدب أمريكا الشمالية وخاصةً الولايات المتحدة التي تضم الآن ثلاثة ملايين عربي وانعكست صورته في دول أمريكا اللاتينية؟

يبدو أن الجواب يقوم على عدد من الاحتمالات منها أن العرب يعدون أقلية صغيرة جدًا بالنسبة لعدد نفوس الولايات المتحدة الذي قد يصل إلى مائتي مليون نسمة كما أن العرب الذين يعيشون في الولايات المتحدة ابتداءً من الجيل الثاني يفقدون عاداتهم العربية كما يفقدون لغتهم ويذوبون في التيار الاجتماعي الجارف. ويمكن أن نضيف أن الأدب الأمريكي الشمالي أدب نمطي يخضع لتصوير الشخصية الغالبة وهي شخصية رجل المدينة الناجح أو الريفي الأوربي وقد تنال الأقليات الشعبية ذات الجذر الأمريكي كالهنود الحمر بعض الأهمية. فإن غلبة العرق الأبيض على المجتمع هو الذي كان خلف تصوير إهمال الأقليات الأخرى التي لا يجد الأمريكي وقتًا يشغله بالاهتمام بحياتها كما أن كون الكتاب من بيئات أوربية جعلت اهتمامها بالأقليات نادرًا وقليلاً.

إن تركيبة المجتمع في أمريكا اللاتينية ذات التعداد القليل تقوم على تعدد الأجناس والأديان وأن قلة السكان تظهر هذه الأقليات ظهورًا واضحًا وتجعل أمامها فرص التقدم والظهور متكافئًا كما أن ميل هذه الأقليات بأعمال معينة كالتجارة والمهن في حالة الأقلية العربية اضطرت الكاتب اللاتيني إلى المرور بها عند تشابك الشخصيات الاجتماعية وعند تصوير حركة الفرد في المجتمع ويشير ماركيز في حديثه عن مدينته التي ولد فيها في خمسينات هذا القرن إلى تشابك حياة الأقليات وتطورها بما يأتي:

«لم تكن (بارنكيلا) وهي مدينة صناعية كبرى يلفها غبار وحرارة دلتا نهر (مجدالينا) تتمتع بسحر قرطاجنة... إنها مدينة ترحب بالزائرين. ملاذ لأولئك الذين يتدفقون من شتى أنحاء المعمورة: فرنسيّون هاربون. طيّارون ألمان هزموا في الحرب العالمية الأولى، يهود فارّون، مهاجرون من جنوب إيطاليا (و)... (سوريا ولبنان والأردن) لا يعرف أحد كيف وصلوا إلى هذه المدينة وأسسوا العائلات المحترمة الآن»[1].

إن اسم العربي وموطنه ما زالا غامضين في أذهان بعض الكتاب اللاتينيين وقد يلتزمون في بعض الروايات التي تؤرخ لزمن طويل استعمال الاسم القديم الذي يطلق على العربي وهو اسم التركي إذ إن المهاجرين الأول من العرب كانوا يحملون أوراق سفر تصدر عن الأمبراطورية العثمانية (التركية) وسوف نرى في النصوص التالية تكرر هذا الاسم وإن كان بعض الروائيين المتنورين قد أدركوا أصل العربي الجغرافي والعرقي وحاولوا تصحيح ذلك واستبدال اسم (التركي) بـ (العربي) ويقع جورج أمادو بين هؤلاء الكتاب الذين صححوا ذلك وحددوا معنى (العربي) في رواياتهم. قال:

«في غمرة هذا اللغط... فإن بائعًا متجولاً من حملة الحقائب هو الجد الأكبر لتريزا نتيجة إحدى صداقاته مع العاهرة المشهورة ميكالينا وعندما أقول بائعًا متجولاً من حملة الحقائب أرجو ألا أكون مضطرًا إلى أن أوضح أنني أعني (العربي: السوري، اللبناني) الذي يسمونه هنا (التركي)...[2]»

---

(١) رائحة الجوافة ص ٥٠.

(٢) تيريزا باتيستا ص ٦٢.

وقد ترك ماركيز في (مائة عام من العزلة) صورة للعرب الأوائل حين دخلوا القارة الأمريكية تجارًا بسطاء وباعة متجولين. قال:

«وانتقلت الضيعة الجرداء المتوحشة سريعًا إلى قرية نشطة فيها المخازن والمعامل اليدوية وطريق تجاري لا ينقطع جاء منها (العرب الأوائل) الذين ينقلون الأخفاف ويعلقون الحلق في آذانهم ويقايضون الببغاوات بأطواق من خرز»[1].

وكان هؤلاء الباعة المتجولون يقايضون أي شيء ويحملون بضاعات متنوعة مغرية. قال ماركيز:

«فقد أبدلها بساعات موسيقية في كل بيت. ساعات جميلة من الخشب المحفور بادلها (العرب) بالببغاوات»[2].

وقال كذلك عن حاجة أخرى:

«وعلى ذلك انتزعوا الأجراس التي بادلها (العرب) بالببغاوات من أعناق الماعز ووضعوها في مدخل القرية»[3].

وقال أيضًا مشيرًا إلى ذلك مرة أخرى وهو يذكر تجمع العرب في شوارع خاصة بهم:

«وأقام (بيتر كريسبي) مخزنًا لبيع آلات الموسيقى والألعاب ذي النوابض في نفس الحي الذي يذرعه (العرب) وكانوا في الماضي يبادلون فيه الألعاب بالببغاوات، الحي الذي دأب الناس على تسميته بشارع (التركو)...»[4].

وبعد أن استقر هؤلاء العرب في أحياء خاصة بهم أصبح اسم الحي يشتق من اسم ساكنه وأشار الكتاب إلى هذه الأحياء والشوارع باسم (التركو).

قال ماركيز:

---

(١) مائة عام من العزلة ص ٤٢.
(٢) المصدر نفسه ص ٤٣.
(٣) المصدر نفسه ص ٤٩.
(٤) المصدر نفسه ص ٧١.

«وأصبح بفضله شارع (التركو) وبفضل واجهة الدمى الرائعة جزيرة هادئة يملأها النغم»[١].

وفي شارعهم والحي الذي يسكنونه يبيعون كل شيء ويشتغلون في كل المهن فإن فقراء (العرب) يعملون في بيع الأطعمة الجاهزة على بسطات[٢] ويبيعون الألبسة الجاهزة والمستعملة. قال ماركيز:

«واهترأ في تلك الفترة بنطاله الضيق وقميصه الحريري وصار يلبس بزّة عادية اشتراها من دكاكين (العرب)...»[٣]

وقد يفتتح العرب الفنادق المتوسطة لنزلائهم من العرب أو غيرهم.

«وصل الدون أبو لينار موسكوته دون ضجة إلى ماكوندو فنزل في اوتيل جاكوب (يعقوب) الذي أقامه (العرب) الأوائل حين جاءوا يبادلون بالببغاوات بضاعتهم»[٤].

وذكر ماركيز بعض عادات العرب وخصائصهم النفسية. قال:

«بات شارع (التركو) القديم زاوية مهملة ففد أسلم آخر (العرب) فيه أنفسهم للموت من عادتهم العتيقة بالجلوس أمام أبواب بيوتهم مع أنهم باعوا منذ سنين خلت آخر الحلي وما بقي من ظليل واجهات الدكاكين إلا لشخوص تكسرت رؤوسها»[٥]

ويشير ماركيز إلى مظهر هؤلاء العرب حبث تزين وجوههم بشاربين كبيرين مقلدين روح العصر والبيئة التي نشأوا فيها. يشير ماركيز إلى عبث إمارانتا ويقول:

«فترسم له عيني مهرج وشفتين حمراوين و (شوارب تركي) بقلم كحل الجفون وتضع له عقدة من خيط حريري وقبّعة من ورق الفضة»[٦].

وفي ملاحظة ساخرة يشير ماركيز إلى غش باعة القماش العرب حين

---

(١) مائة عام من الهجرة ص ١٠٠ وانظر ص ٢٤١ و ص ٢٥٥.
(٢) المصدر نفسه ص ٢٥٧ وانظر ص ٢٧٨.
(٣) المصدر نفسه ص ٣٠٨
(٤) المصدر نفسه ص ٥٦.
(٥) المصدر نفسه ص ٣٣٤.
(٦) المصدر نفسه ص ٣٣٥.

يقيسون طول النسيج للمشتري. قال:

«كانت تقول في نفسها إن الأمور كانت مختلفة عنها. كان الله لا يغش بالشهور والسنين كما يغش (التركو) بقياس طول النسيج»[١].

ولكن في الرواية نفسها يشير ماركيز إلى قوة النفس العربية ومقاومتها للتبدل والخراب الذي وقع في مدينة ماكوندو وميل العربي القدري:

«الواجهات عاث فيها دود الخشب، والجدران تآكلت رطوبة. لكن (عرب) الجيل الثالث كانوا يجلسون في نفس المكان الذي جلس عليه آباؤهم وأجدادهم صامتين لا يهزهم الخطر ولا ينال منهم الزمن ولا الكارثة. ظلوا كعهدهم بعد وباء الأرق وحروب العقيد اوريليانو بويندنيا الاثنتين والثلاثين لا يتبدلون في حالتي الحياة والموت. لقد أظهروا قوة روحية عجيبة أمام بقايا طاولات اللعب وعربات باعة المقليات وبسطات إصابة الهدف والشارع الصغير الذي كانت تفسر فيه الأحلام ويقرأ المستقبل ولقد سألهم اوريليانو الثاني بطريقته المرحة المألوفة عن أية وسيلة خفية استخدموا كي ينجوا من الكارثة وماذا صنعوا كي لا يموتوا غرقًا أجابوه واحدًا بعد الآخر من باب لباب وهم يرسلون إليه نفس الابتسامة الذكية، نفس النظرة الحالمة، نفس الجواب من دون أن يتفقوا عليه. قالوا له: (كنا نسبح) كانت بيترا كوتس الوحيدة من السكان التي لها (قلب عربي). لقد شهدت خرائب الحظائر الأخيرة وكيف أخذتها العاصفة لكنها جاهدت حتى يظل البيت قائمًا...»[٢].

ويذكر في روايته (ليس لدى الكولونيل من يكاتبه) حي الأتراك[٣] (العرب) ويشير إلى مهن الطبقة المتوسطة فهو يشير إلى (متجر موسى السوري)[٤] وغيره[٥] ويشير إلى عادة العرب هناك في ترك دكاكينهم مفتوحة في ساعات القيلولة. قال:

---

(١) المصدر نفسه ص ٢١٥.
(٢) المصدر نفسه ص ٢٧٨.
(٣) ليس لدى الكولونيل من يكاتبه ص ٧٢.
(٤) المصدر نفسه ص ١٩.
(٥) المصدر نفسه ص ٨٩.

ولم يكن هناك من يحرس البضائع المعروضة في متاجر (السوريين)»[١].

ويشير ماركيز إلى الحياة العائلية المختلطة للعرب المهاجرين حيث يتزوجون من أجنبيات يتكلمن الإسبانية. قال ماركيز:

«تحقق (موسى السوري) من الخبر (ورود السيرك إلى المدينة) ثم تحدث إلى زوجته بخليط من (العربية) والإسبانية وأجابته هي من الغرفة المجاورة للمتجر وبعدها قال شيئًا لنفسه ثم ترجم للكولونيل ما يدور بذهنه: لا بد من إخفاء القط أيها الكولونيل فقد يسرقه الصبيان ويبيعونه للسيرك»[٢].

ويشير ماركيز إلى تصلّب العربي في البيع حيث لا يرجع ما يبيع مهما كانت ظروف المشتري الذي قد تضطره إلى إعادة ما يشتري ففي هذا الحوار الطريف يصور ذلك. قال:

«عثر على الحذاء الجديد تحت السرير فرجع إلى الخزانة بحثًا عن علبة الحذاء ثم نظف نعليه بخرقة قماش ووضعه في العلبة كما كان عندما أحضرته زوجته يوم الأحد ليلاً. لم تتحرك من مكانها.

قال الكولونيل:

ـ سنعيد الحذاء وهكذا يصبح لدينا ثلاثة عشر بيزو آخر.

ـ لن يقبلوا إعادته.

فرد الكولونيل:

ـ يجب أن يقبلوا، لقد لبسته لمرتين فقط.

ـ ولكن (الأتراك) لا يفهمون هذه الأمور.

ـ يجب أن يفهموها.

ـ وإذا لم يفهموها؟

ـ عندئذٍ دعيهم لا يفهمون...»[٣]

---

(١) المصدر نفسه ص ٨٠.
(٢) المصدر نفسه ص ٩٧.
(٣) المصدر نفسه ص ١٠٢.

ويشير ماركيز إلى عادة العرب بالتجمع سوية للغداء تحت أشجار الحدائق وهم يفترشون الأرض ويتحلقون حول الخوان. قال:

«وجدت عددًا أقل مما تخيلت في ظل أشجار اللوز وفرش (السوريون) خوانات الطعام المصنوعة من القماش الملون استعدادًا للغداء بينما بدت المحلات وسنانة تحت مظلات الكانغا»[1].

أما جورج أمادو في البرازيل فإنه يشير إلى مهنة الصيرفة وشراء المصوغات التي تخصص بها بعض العرب وأشار كذلك إلى مهنة الباعة المتجولين الذين يبيعون الحلي الرخيصة قال عن ابنة انطونيو فيكتور:

«وكانت زبونة طيبة للبائعين المتجولين (العرب) تشتري منهم جميع الأنواع من حلي وجواهر مزورة»[2].

وفي روايته تريزا باتيستا يشير إلى مهنة الصيرفة التي تعاطاها بعض العرب. قال عن إحدى النساء:

«من الجواهر الجيدة التي امتلكتها نصف دزينة وباعت حتى الخواتم الأخيرة إلى (تركي) في باهيا منطقة بيع الفضة والذهب من بيت إلى بيت»[3].

وأشار جورج أمادو في روايته (أرض ثمارها الذهب) إلى بائع قماش متجول يسافر في باص إلى مدينة أخرى ويحاول بيع بضاعته في الباص نفسه. وقال:

«وسار الأتوبيس على الطريق التي شقت في طرف هضبة صاعدة خطيرة المنعطفات وابتعد من أمامه فريق من العمال مفسحين له الطريق. ولكنه توقف وقفز السائق طلبًا للماء يخفف من وطأة غليان المحرك واغتنم (العربي) فرصة التوقف ليفتح صندوقه ويعرض قطعًا من حرير رديء الجنس... (وشغل) السؤال الذي يضطرم في جميع القلوب النقيب ونسي (العربي) بجميع ما

---

(١) مأتم الأم الكبيرة (أنظر: قصة لا لصوص في هذه المدينة) ص ٤٢.
(٢) أرض ثمارها الذهب ص ١٠٤.
(٣) تيريزا باتيستا ص ١٠٢.

يحمل من الأقمشة. . . واغتنم (العربي) فترة الصمت الذي خيم على أثر ذلك ليجرب مرة أخرى حظه فحمل قطعة الحرير بيده وتضرّع يقول: خذها يا نقيب بأربعة ميلرايس للمتر الواحد. أقسم أنها صفقة خاسرة ولكن جوان غالياس كاد ألا يسمعه لأن أحدهم كان يشير إلى الهضبة حيث أخذ العشب يصفر تحت وطأة الشمس ويقول: لربما لم تمطر. فتضرعت امرأة وقالت: ليحفظنا الله من هذه المصيبة، وشاطر الجميع بحرارة حتى (العربي) رجاء المرأة. . .»[1]

وفي نص طويل طريف يذكر فيه أمادو في روايته (دروب الجوع) كيف يماكس العربي في البيع ويضارب في الثمن حتى أصبح ذلك حقيقة معروفة فهو يقول في إحدى صفحات روايته عن عقد تم بين اثنين من مواطني البرازيل وأراد أن يماكس أحدهم في الثمن:

«إنها ليست دكان (تركي) فالثمن محدود»[2].

يصف أمادو في هذا النص الطويل كيف ينشأ صبية المهاجرين في الأسواق وينطلق من ذلك لاصطياد ذلك المشهد المدهش، مشهد البيع والشراء الذي يتم في تلك الأسواق ويكون العربي هو البائع:

«وهكذا كانوا يكبرون ويتعلمون أشياء مجهولة في (سرناو) حيث أتوا: جميع علوم أبناء زنوج المدينة وتفاصيل متعلقة بالحياة الجنسية وكلمات فضّة وأجوبة وقحة وكانوا يركضون وراء (الأعراب): (العرب؟) الذين يأتون ليعرضوا بضاعتهم الرديئة في المعسكر مشوقين النساء بعقود من الزجاج الملون وأمشاط كبيرة للشعر وشالات ذات زهور وعطور رخيصة، وكان النساء ينظرن إلى الصندوق السحري الذي يتكدس فيه كثير من الأشياء الجميلة المشتهاة وكن يحسبن نقودهن القليلة التي يحتفظن بها مخبأة على الدوام لحاجة ماسة ويسمعن كأغنية مغرية ترغيب (الشرقيين) بلغتهم المشوشة:

---

(١) أرض ثمارها الذهب.

(٢) دروب الجوع ص ١٤١.

ـ يا بلاش، يا بلاش، إنه ذهب، إنه حقيقي، أقسم على ذلك. وهذه خواتم، آه ما أجمل هذه الخواتم، وهذه عقود زرقاء، حمراء، وردية اللون، وهذه أمشاط مزخرفة بالمتدليات البراقة في الشمس كالألماس.

وكان (الأعراب) يقولون: إنها هنا أرخص من (ساوباولو)

كان معهم كل شيء في صناديقهم ذات البضاعة الرديئة والتي كانوا يفتحونها أمام العيون المندهشة

ـ لا أملك نقودًا!

ولكن البائعين كانوا يعرفون جميع الأسرار.

ـ إذا كانت في طرف منديلك فاذهبي وابحثي عنها، إنها فرصة!

ثم يعرضون دمى الأولاد وبعض التوافه الحقيرة وكان الأولاد ذوو الأيدي الجشعة يحومون حولهم مترصدين الفرصة ليختطفوا إحدى هذه التوافه ليقدموها إلى أمهاتهم وأخواتهم أو ليتخلوا عنها مقابل (ميل ريس) إلى أي مهاجر كان، وكان (العربي) يستعمل المتر لبضرب سيقان الزنوج.

ـ إذهبوا! حشرات!

ولكنه لا يضيع البشاشة المغرية ويقول للزبونة:

ـ إشتري يا سيدتي الصغيرة، هذا مقابل لا شيء، ويأتون في النهار كما في الليل، فليس لديهم ساعة معينة، يقومون فيها بتجارتهم الصغيرة. وكان المساء أفضل أيضًا لأن المهاجرين يكونون عندئذٍ مجتمعين وكان الأعراب يعرفون أن يتكلموا فيسردون أخبارًا عن (بيرابورا) ويقضون وقتهم في الرواح والمجيء على المراكب.

ولم يكونوا يتوسلون إليهم ليصفوا الحياة في النواحي ولا يقاطعون أنفسهم إلا ليمدحوا سلعهم، وكانوا يطلبون ثمنًا ويتخلون عنه إلى النصف ويحسبون قطع النقود الصغيرة للفلاحات ثم يضعونها في جبوبهم.

ورغم كل هذه الشمس، وكل هذا الحرّ في (سرناو) كانوا يرتدون ملابس داكنة من صوف مكتنزة الخيوط ويرندون صدرات أيضًا يغيبون في جبوبها ألف شيء.

ولكنهم لم يكونوا يكتفون بالبيع فقط، إنهم يشترون أيضًا ويبحثون عن قطع العملة النادرة ذات الاثنين (ميل ريس) القديمة الفضيّة والتي توجد غالبًا بين أيدي الفلاحين فيدفعون ثلاثة (ميل ريس) بكل واحدة منها وكانوا أيضًا من هواة الأقراط الذهبية وأشياء متنوعة تبدو للمهاجرين عديمة القيمة. وكانوا يحملونها لأنهم ورثوها فقط من أمهاتهم أو جداتهم. إنها أشياء ليس لها في نظرهم سوى قيمة عاطفية»[١].

وفي أحد نصوص رواية المحصول الأحمر (القسم الثاني ـ طرق الأمل) يعرض جورج أمادو نصًا لما يمكن أن يتعرض له (العربي) كما يتعرض غيره في أيام الأزمات وحين يفقد القانون سلطته، فحين تقدم قاطع الطريق لوكاس إلى أحد المدن وحاصرها واحتلها وعاث فيها فسادًا واستباحها وقاس أهلها العذاب كان نصيب أحد (العرب) الذين يعيشون هناك لا يقل عما أصاب الآخرين. دخلوا إلى المخازن واشتروا كل شيء:

«دفعوا نقودًا قديمة ومتسخة. وفي أحد المتاجر وجد (زيه تريفوادا) أن (التوركو) يريد أن يسرقه وهو مصيب، فيغضب:

ـ سأهشم هذا ولن يدفع أحد شيئًا.

كان (التوركو) يتوسل حبًا في الله بلغته السيئة النطق، ولكن الرجال قد بدأوا في احتساء الخمرة، فأمتعوا أنفسهم في تمزيق قطع القماش، مهشمين الألعاب ومغرزين الحراب في القبعات.

كانت ثمة بطة بزنبرك صغيرة، تعبأ بتحريك الزنبرك فتمشي وتحرك منقارها وتصدر نقيقًا هي التي أنقذت (التوركو) من الموت. لا بد أن البطة كانت مشحونة لأنها عند ارتطامها بالأرض بدأت تعمل. خطت البطة بضع خطوات تفتح منقارها وتغلقه، آتية بطقوسها الصغيرة المضحكة فصفّق زيه ترايفوادا:

ـ يا له من شيء جميل!

---

(١) دروب الجوع ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، وانظر المحصول الأحمر (القسم الأول دروب الجوع ص ١٥٣-١٥٥ وما بعدها) فإن النص فيه خلافات جزئية عن ترجمة دروب الجوع لوحدها عام ١٩٨٥م.

لكن الآلية توقفت بعد قليل. وبقي الحيوان مفتوح المنقار وكان العربي قد دس نفسه تحت طاولة البيع فوخزه زيه تريفوادا بالحربة:

ـ أخرج من هنا أيها الغرنغو، ابن العاهرة

ظهر (العربي) أخضر اللون من الخوف.

ـ إجعلها تمشي!

فيبحث عن مفتاح الزنبرك بين الحطام. وكان زيه تريفوادا قلقًا والآخرون يتجمعون حوله.

ـ أنتم سترون أي جمال.

لم يجد (العربي) المفتاح بين الحطام على الأرض، وفي بحثه شاهد القماش الممزق والأشياء المهشمة، فكانت لديه الرغبة في البكاء. فدس زيه تريفوادا يده في جيبه وأخذ مائة ألف ريس:

ـ هذا من أجل البطة، والباقي لن أدفعه، أيها (الغرنغو) اللص وسيجعلك هذا سعيدًا...»[١].

ولا تظهر شخصية (العربي) فاعلة وقوية حين تصطدم برجال العصابات والمجرمين من أهل البلاد التي يقيمون فيها ففي مطاردة لمحتال يدعى ليبوريو عرف مطارده العنيف أنه «يلعب النرد مع صاحب المحل (السوري) عندها، ودون أن يقرع بابًا أو يستأذن بالدخول دخل بصحبته أربعة مرافقين يشق طريقه داخل المحل التجاري. شهر (السوري) سكينًا يريد بذلك أن يظهر بمظهر الشجاع فانتزعوها منه وأنالوه بعض الصفعات على خديه وتلقى ليبوريو من حصته ما يستحق»[٢].

ولكون العرب أقلية قليلة العدد مسالمة وذات ميول تجارية فقد كانوا يخضعون للنظم الدكتاتورية السائدة ويميلون إلى الخنوع في الأزمات وهم يتحملون الظلم والأذى بصبر ورضا. وقد عكس استورياس حالة هذه الأقلية

(١) المحصول الأحمر (القسم الثاني ـ طرق الأمل) ص ٢٥٠-٢٥١ ولفظة الغرنغو Gringo تطلق على الأجنبي الذي يتكلم غير البرتغالية.

(٢) تريزا باتيستا ص ٤٢.

العربية في غواتيمالا (أمريكا الوسطى) تفصيلاً كما عكسها ماركيز تلميحًا في روايته (موت البطريرك).

وكان استورياس أكثر من عكس وضع العرب السياسي في المهاجر في روايته (السيد الرئيس). وقد كان العرب في نص من نصوص الرواية هم الممولون لمشروع تراه البلدية مرضيًا لرئيس الجمهورية في الرواية قال:

«والواقع أن البلدية كانت لديها خطط لإظهار تأييدها المطلق لرئيس الجمهورية وعلى رأس هذه الخطط طلاء وإصلاح المبنى الذي كان مسرحًا للاغتيال المشين لأحد ضباطه على أن يتكفل بالنفقات (الأتراك) الذين يمتلكون (بازارا) في المنطقة تفوح منه دائمًا روائح نفايات تحترق. وكان القرار الحازم الذي اتخذه أعضاء مجلس البلدية حين طرح عليهم موضوع النقود: فليدع (الأتراك) فهم مسؤولون على نحو ما عن مصرع الكولونيل باراليس سونرنيتي لأنهم يقيمون في المكان الذي وقعت فيه الحادثة. ونتيجةً لهذا الإجراء الانتقامي كان الأمر سينتهي بـ (الأتراك) إلى أن يصبحوا أشد فقرًا من الشحاذين الذين اعتادو على أن يناموا على أعتاب أبوابهم لو لم يمدّ لهم بعض الأصدقاء من ذوي النفوذ يد المعونة فدفعوا ثمن الطلاء والتنظيف وإصلاح إضاءة الكتدرائية بأذون دفع مالية من وزارة الخزانة مشتراة بنصف قيمها، بيد أن وجود الشرطة السربة كان مدعاة لقلق هؤلاء التجار (الأتراك) وكانوا يتساءلون فيما بينهم عن سبب وجود هذه الحراسة المشددة: ألم تتحول أذون الدفع إلى دلاء من الطلاء الأبيض؟ ألم يشتروا على حسابهم فرشًا للطلاء في طول لحى أنبياء بني إسرائيل؟ وقد دفعهم حرصهم إلى زيادة عدد القضبان الحديدية والمزاليج والأقفال على أبواب حوانبتهم»[(١)].

وكان شعور الخوف يلازمهم أبداً حين تتأزم الأمور ويطلق الرصاص قال أستورياس في روايته:

«وعند أول طلقة تدحرج الأبله على درجات السلم وقفت الطلقة الثانية عليه وانكمش (الأتراك) على أنفسهم فيما بين الطلقتين ولم ير أحد أي شيء»[(٢)].

---

(١) السيد الرئيس ص ٥١.

(٢) المصدر نفسه ص ٥٨

ويؤكد حقيقة تعرض (العرب) المهاجرين إلى مظالم النظم القاسية في أمريكا اللاتينية مترجم (خريف البطريرك) وكان نصيبهم نصيب الأقليات أو الطوائف المعارضة حيث قال في مقدمة الرواية عن البطريرك:

«ويموت ضحاياه: أطفال ومعارضون، رجال دين ومتمردون، هنود وهندوسيون، (عرب) ومضطهدون آخرون يقول: عاش أنا، غير أنه في النهاية يجد نفسه وجهًا لوجه مع الموت...»[1]

ويتمثل هذا الظلم الذي أشار إليه المترجم في رواية (خريف البطريرك) إلى تسلط أم البطريرك على متاجر العرب. قال:

«كانت (أم البطريرك) تنهب من متاجر دكاكين (السوريين) التفتا الجنائزية وتنهب سبحات الأسماك الذهبية الصغيرة بملء يديها...»[2]

وإذا ما طالبها التجار بثمن البضاعة لا يسمعون منها «سوى الأمر الصارم: أرسلوا بقائمة الحساب إلى الحكومة، الأمر الذي يعني: أرسلوا بقائمة الحساب إلى الربّ»[3].

(١) خريف البطريرك (المقدمة ص ٥).
(٢) المصدر نفسه ص ١٥٨.
(٣) المصدر نفسه ص ١٥٩.

الباب الثاني

الشخصيات



الفصل الأول
الشخصيات الثانوية

جميل نجار

خليل شماس

سَقّاف

عصفور السوري

موسى السوري

أدغار فريز السوري



الفصل الأول

الشخصيات الثانوية

إن هذا القسم من البحث عن الشخصية العربية في روايات أمريكا اللاتينية سوف يتناول الشخصيات الروائية العربية الثانوية والمساعدة في هذه الروايات.

ونحاول هنا أن نجمع أشتات هذه الشخصيات في كل رواية على حدة كي نعطي صورة واضحة عن الدور الذي لعبته هذه الشخصية في مجمل الرواية.

إن جورج أمادو يعد أهم كتاب أمريكا اللاتينية في عرض الشخصيات العربية الثانوية في روايته (تيريزا باتيستا) ولا تكاد تظهر الشخصية الثانوية في روايات ماركيز إلاّ في رواية (ساعة نحس) ولكن تفوق ماركيز على غيره من هؤلاء الكتّاب في تخصيص روايته (وقائع موت معلن) لشخصية عربية واحدة.

ونبدأ هنا بشخصيات جورج أمادو الثانوية:

١ - شخصية جميل نجار:

وهي شخصية ترتبط بالحادث الذي حدث لتيريزا باتيستا في خصومتها مع أحد الأوغاد وكان قد كسر سنًّا لها. وكان جميل نجار طبيب أسنان وهنا وقع الاختيار عليه لاصلاح أسنان تيريزا.

«أما الطبيب جرّاح الأسنان (جميل نجار) الذي كان قد راهن بعشرين كروزيرو فإنه لم يتلق شيئًا من أميرة السامبا ليركّب لها سنًّا من الذهب مع الكثير من الجفصين في لثتها العليا حيث هوت قبضة الحديد على فم تيريزا لتشق لها شفتيها فبالنسبة إلى جرّاح الأسنان إذا كان لابد من المطالبة بدفع فالدفع هذه المرة لا ينم بالمال»(١).

ويبدأ أمادو بتعميق شخصية نجار وجعله شخصية ذات ارتباط بتيريزا وبيئة تيريزا ولذلك فإنه يضيف:

«أما طبيب الأسنان (جميل نجار) فقد اتخذ من العلاج فرصة ذات فائدة ليصل إلى مبتغاه: (إنه عمل راق يا عزيزي باتشولا وليكن ما يكون فهو يحتاج إلى فن وعناية كبيرين، إلى أهلية، تحتاج الوقت الكافي لتصل إلى الكمال، والمسألة ليست مسألة سن ذهبية وحسب بل مسألة تلاؤمها مع الفهم الإلهي، ولا يمكن أن تكون غير مدروسة كأنها عمل تجاري فالأمر دقيق وحساس). أما فلوري فلكي يستعجله قال: (إني أفهم هواجسك الوجدانية يا حضرة الطبيب الذي ركّب لي أسناني الاصطناعية ولكن عليك أن تذهب بخفة فلا تضع الصبغ الذهبي أرجوك)»(٢).

ويعطي جورج أمادو بعض خصائص العربي حين يعرّف (جميل نجار) بقوله:

«أما طبيب الأسنان (جميل نجار) وهو ابن عربي ذو دم حار فكان قد عرض عليها أن يجعلها سعيدة بينما كان يمسك بفمها ويضع لها السن الذهبية»(٣).

ويحاول جميل نجار المماطلة في تركيب السن لتيريزا باتيستا مما دفع أحدهم في الرواية أن يتساءل:

«تساءل (فلوري) ساخرًا من الحياة: متى ينتهي الدكتور (جميل نجار)

---

(١) باتيستا تيريزا ص ٢٦.
(٢) المصدر نفسه ص ٢٧.
(٣) المصدر نفسه ص ٣٠

من تحفته الفنيّة؟ لم يتأخر قط جرّاح أسنان هذا التأخير كله لتركيب سن ذهبية»[1]

ويشير أمادو إلى حلقة المعجبين بتيريزا ويذكر جميل نجار بينهم ويعددهم فيقول:

«حاشية المدلهين حيا وفيهم: الرسام جنر اوغوستو بعينيه العميقتين تعبًا والشاعر جوزي سارايغا بأبيات الشعر المبتسمة وزهرة قطفها عند العبور وطبيب جراحة الأسنان (جميل نجار) ساحر الفن الجراحي، والمظفر اللسن لود سانتوس وسيد الملهى السعيد الطامع في فراش النجمة فلوريا مديرا المعروف بفلوري باتشولا في الكمين الذي ينصبه الجميع، المرشح الأوفر حظًا لكونه رب العمل...»[2]

ويختفي جميل نجار من مسرح الأحداث بعد أن يركّب السن الذهبية ويخطب إحدى الغنيّات. قال أمادو:

«والطبيب جرّاح الأسنان (جميل نجار) قد خطب وكان سيتزوج من غنيّة وارثة كان قد أجرى عليها خمس عمليات أسنان كبيرة...»[3]

٢ - شخصية المصمم خليل شماس:

وهو شخصية عربية أخرى تبرز في مقام تعلقه بفتاة من فتيات الهوى اسمها (أناليا) وكان يظهر تعلقًا بها كما تعلقت هي به وينقل أمادو طرفًا من هذه العلاقة من خلال تشابك الأحداث. قال أمادو:

«ودبرت فيليا كارباريه مقلبًا لصاحب البار فأدركته في الغرفة العليا من المكان وبصحبتها الأجنبي وبعض الشعراء وبعض المشردين و(المصمم خليل) عشيق أناليا وهم بمجموعهم بقايا البوهيميين في عالم يستهلك نفسه سريعًا»[4].

(١) المصدر نفسه ص ٥٢.
(٢) المصدر نفسه ص ٨٠.
(٣) المصدر نفسه ص ٢٢٧.
(٤) تيريزا باتيستا ص ٤٠٧.

ويبدو أن خليل شماس كان شخصية مثالية وطنية متحمسًا لوطنه الجديد واستقلاله الفكري والثقافي. قال أمادو:

«كان الشاب (خليل شماس) يتحدث بكلمات ملهبة عن الضعة لدى المنسحقين من المقلدين للعادات الأوربية المحتفلين بوصول الربيع وسط أمطار أيلول.

ـ «ما عاد ينقصهم سوى ارتداء معاطف الفرو والاصطكاك بردًا! سترون غدًا الطلاب صفوفًا طويلة ليعلنوا أنه الربيع قد أتى! إنه استعمار حقيقي سينالون ما يستحقون إذا أمطرت دون توقف.

وبالإضافة إلى كونه طالبًا في العلوم الاجتماعية في كلية الفلسفة وأمين صندوق محل التحفيات القديمة الذي يملكه والده في شارع روي باربوزا ومصممًا هاويًا يحلم بصالات العرض والنجاح والشهرة ووطنيًا صلبًا، فإن (خليل شماس) هو العشيق الغيور لـ (أناليا) الناعمة. وعلى طاولة البار كان ثائرًا ضد الاستيراد التافه للتقاليد الغربية التي لا معنى لها في البرازيل ففي البلاد المدارية هناك ستة أشهر في العام من الأمطار وستة أشهر حارة والكلام عن الربيع والخريف مسألة تستدعي السخرية»[1].

وتخرج أناليا مع خليل في الليلة التي أضرب فيها بنات الهوى عن استقبال جنود الأسطول الأمريكي وكان ذلك بتحريض من تيريزا باتيستا التي عارضت أوامر الشرطة بالانتقال إلى حي آخر والإضراب عن الترحيب بالجنود الغرباء ويشرح أمادو ذلك:

«ولكن في ليلة إعلان الحرب (حرب بنات الهوى) تركت أناليا الوظيفة قبل ساعة وهي ترافق زميلاتها وذهبت مع (خلبل) تجوب المنطقة وتعلن عن إضراب النساء عن العمل وإقفالهن أنفسهن على الرجال وكانت أناليا فرحة تضرب بكفّيها:

ـ مع هذه الحكاية عن إقفال السوق العمومية سأستطيع غدًا أن أشاهد استعراض الطلاب في عيد الربيع. منذ زمن لم أشاهده! هل تعرف أني

---

(١) المصدر نفسه ص ٤٢٠.

اشتركت في استعراض الطلاب في أشتانسيا؟

ـ إنك متخلفة!

ـ يا عزيزي ماذا فعلت بالمبادئ والقناعات؟

ـ نذهب معًا سيكون يومًا جميلاً . . .»[1]

وخرجا في يوم ملأه الحب والسعادة والرضا وكانت ترنمي «بين ذراعي (خليل شماس) وهي تضحك لكل شيء. فإن أناليا كانت تصفق لصغار وصغيرات التلاميذ في استعراضهم الربيعي وهي تتذكر أزمنة التجمعات المدرسية قبل أن تعمل في مصنع النسيج وصاحب المصنع براوليو الذي أطلقها إلى الحياة.

تناولا الغداء في مطعم بورتو المختص بالطعام البرتغالي ولكي يشرب مع الباكالياو البرازيلي طلب نبيذًا أخضر واستسلما لمشاعر الحب الخالد. وعند خروجها من المطعم اشترى لها باقة من البنفسج فعلقتها على قبة فستانها الأبيض ولكي تفعل ذلك توقفت عند تمثال الصحافي جيوفاني غيمارابيس. وفي ظل حبيب الشعب تركت نفسها لقبلة رفيقها: قبلة عاشقين. وسارا بطيئًا في الشوارع. لم يكونا يعرفان شيئًا عن مجريات الأحداث في المدينة. وعن السفن الحربية الراسية في مرفإ باهيا وعن الشرطة التي تحتل حي ماسييل بيلور بنيو وقبل أن يدخلا في مطعم جانفاديرو حيث تعشيا سمكة حارة وشربا البيرة وضحكا دون سبب»[2].

ويتابع أمادو ما حدث لهما في ذلك اليوم الطويل باللهو والعبث والضحك قال:

«وبعد أن أكلا السمكة الحارة ترافقها البيرة المثلجة استقل (خليل) وأناليا الباص باتجاه لارغوداسي. وكانت السيدة باوليناديي سوزا قد أعطت الأوامر إلى فتياتها بالعودة باكرًا.

. . . وعند أعلى محلة كاستر ألفيس ضرب (خليل) على رأسه ودعا أناليا إلى النزول.

---

(١) المصدر نفسه ص ٤٢١.

(٢) المصدر نفسه ص ٤٢٧-٤٢٨.

ـ كنت سأنسى من جديد.
ـ تنسى ماذا يا عزيزي؟
ـ صورة القديس أونوفري التي طلبتها دونا باولينا.

... وقد وعد خليل السيدة باولينا بأنه ما أن تأتي صورة القديس أونوفري من منطقة الداخل حتى يحملها لها هدية. وقبل أمس وصلت الصورة الكبيرة الجديدة من الجفصين ولكن خليل نسي أن يأتي بها.

ترك أناليا عند الركن وذهب ليأتي بالقديس وعاد به ملفوفًا بجريدة وتابعا السير على الأقدام وهما يصعدان الطريق المؤدي إلى (أجودا)...»[1]

وقادهما السير إلى منطقة المشاكل التي تجمعت فيها الشرطة لإجبار فتيات الهوى على العمل: «عند بلوغهما بداية محلة داسي انتبه (خليل) وأناليا إلى الأمر الخطير الذي يحدث في المنطقة. جموع بشرية هائلة في محلة تريد دي جيزوس تعلق على الأحداث. والقليلون يجرأون على المرور قرب عربات الشرطة والدخول إلى منطقة الأزمة.

ودار الشاب والفتاة حول كلية الطب وهبطا إلى ناحية ميلورينيو. أخذت أناليا الصورة من يد (خليل):
ـ اليوم لا تستطيع أن تذهب إلى هناك، السوق مقفلة.

ومشيا بعض الخطوات معًا فوجدا نفسيهما في وسط اللغط محاطين برجال الشرطة. وتقدم حارس من الحراس باتجاه أناليا فتدخل (خليل) وهربت الفتاة، لا تعرف إلى أين تذهب، مرتبكة. وجاءها صوت من الأعلى يقول لها:
ـ إلى الكنيسة بسرعة يا ابنة بياوتينغا الجميلة.

وهي تركض اتجهت إلى الكنيسة ولكن رجال الأمن يسدّون السلم المؤدي إليها ويمنعون مرور النساء. كيف تمرّ؟ هي نفسها لا تعرف ولكنها مرّت... من هناك نظرت من شق الباب إلى (خليل) وقد أخذه اثنان من

(١) المصدر نفسه ص ٤٣٧-٤٣٨.

رجال الشرطة إلى سيارة من سيارات الأسرى بينما هو يعاركهما.

أرادت أن تركض إلى عشيقها ولكن النساء الأخريات منعنها وأوقفنها داخل المعبد وأخذن منها الصورة فراحت وهي تتنهد بالبكاء...»[١]

وفي فورة الغضب والبكاء والخوف على حبيبها «رمت أناليا بنفسها بين ذراعي تيريزا باتيستا:

ـ لا تبكي يا صغيرة، كل شيء على ما يرام!

واستمرت تيريزا بالتعزية:

ـ لن يبقى طويلاً في السجن...»[٢]

ولكن لكل علاقة نهاية والحب يموت كما تموت الأشجار وتذبل الأزهار وتغيب النجوم وقد انتهت علاقة (خليل) وأناليا لأنه قد خطب ابنة عم له ليتزوجها ولذلك كانت أناليا تقول في حزن وأسى وأسف ترثي حياتها الطائشة وضياعها في متاهات دروب بنات الهوى وهي تغبط تيريزا حين سمعت بأن هناك رجلاً يريد الزواج منها وهي تتمنع:

«قالت أناليا للصديقة: أنها لا تعرف تقدر قيمة الحظ. آه لو أعطي لي هذا الحظ لكنت أسعد إنسانة في الأرض.

إني أعيش مشمئزة من هذه الحياة، من فراش إلى فراش، ومن يد ليد، أبيع جسدي وأبدد الحب مع عشّاق لا يستحقون!

ألم تري ما فعل (خليل)؟

إنه شاب طبيب ولكنه تخلّى عنها ليتزوج من (ابنة عم) له. الملعون! قليل الحياء! إنها لا تلومه فلكي تتزوج هي الأخرى كانت قد أنهت أية علاقة غير مثمرة»[٣].

وهكذا انتهت حكاية حب خليل شماس وأناليا الحزينة التي دخلت نسيج رواية أمادو الضخمة.

---

(١) المصدر نفسه ص ٤٤٠.

(٢) المصدر نفسه ص ٤٤٠.

(٣) المصدر نفسه ص ٤٥٩.

٣ - شخصية سقّاف:

وهو شخصية ثانوية ورد ذكرها ثلاث مرات في رواية (تيريزا باتيستا) وكان سقّاف أحد المرشحين لمعاشرة تيريزا مع آخر قال جورج أمادو:

«وترشح لتيريزا أيضًا العقيد سيماو لاميجو المتعوّد على المصاحبة. والمحوا بـ (التركي سكاف): (سقّاف؟) التاجر بالجملة والمفرّق»[١]

ويرد ذكره ثانية عند انتشار الوباء الذي قاومته تيريزا مع زميلاتها من بنات الهوى والممرضات قال أمادو:

«ارتعبت (الممرضة جوراسي) إذ انتبهت إلى أنها لمحت في بيت السوري (سكاف): (سقّاف؟) التاجر القوي البنية مصابًا بالجذام وهو في أسوإ حالة...»[٢]

وكان سقّاف يتخذ من التجارة مكسبًا ويقوم بشراء المصوغات أيضًا ولذلك فإن تيريزا قد اضطرت مرة لبيع مصوغاتها إليه:

«ولكي تذهب من بوكين حيث لم يعد لديها ما تفعله فقد اضطرت تيريزا باتيستا إلى أن تبيع بعض مصاغها إلى (التركي سكاف): (سقّاف؟) المرشح لأن يصاحبها لو كان ممكنًا...»[٣]

٤ - شخصية عصفور السوري:

ويذكره أمادو في روايته (ارض ثمارها من ذهب) كواحد من الأجانب الذي استمر على الإقامة في مزارع الكاكاو. قال:

«وكان كارينكس من بين الأجانب الذين يسكنون منطقة الكاكاو أكثرهم استئثارًا بعودة السكان باستثناء (السوري عصفور) الذي أصبح مزارعًا وزوّج بناته من برازيليين وكان (عصفور) قد ذهب إلى سوريا برفقة زوجته وابنته

---

(١) المصدر نفسه ص ٢٦٧.
(٢) المصدر نفسه ص ٢٥٣.
(٣) المصدر نفسه ص ٢٦٩.

الوسطى التي ظلت وحدها عزباء لينهي بقية حياته في موطنه الأول ولكنه ما لبث أن رجع بعد عام واحد بدافع من حنين وعاد إلى احتذاء الجزمة وزراعة الكاكاو وقطفه في مزرعته...»[1]

٥ - موسى السوري:

وهو الشخصية العربية الثانوية الوحيدة التي تدخل في نسيج رواية (في ساعة نحس) للكاتب ماركيز. وموسى من الطبقة البرجوازية يعمل في دكانه الذي كان ملتقى العمدة والآخرين وكانا يتبادلان الأحاديث معًا.

وكان موسى على صلة بالآخرين في المدينة الصغيرة مثل الحلاق وغيره ويظهر من النقاش مع الحلاق أنه لا يحب السياسة:

«دلف (موسى السوري) إلى الداخل (في دكان الحلاق) ناعيًا تساقط شعر رأسه ونموه مع ذلك على قفاه بسرعة غير عادية.

كان (السوري) يقص شعره كل يوم من أيام الإثنين وكان يحني رأسه عادة بضرب من النزعة الجبرية ويمزج غطيطه بأحاديث (عربية) فيما يحدث الحلاق نفسه بصوت عال. غير أنه في يوم الإثنين ذاك استيقظ مجفلاً عند صدور السؤال الاول:

ـ أتعلم من كان هنا منذ لحظة؟

قال (السوري):

ـ كارمايكل الأسود العجوز العفن. إني أمقت هذا النوع من الرجال. هذّب (السوري) لحيته على خدّه ليعاود الغطيط مجددًا لكن الحلاق غرس نفسه أمامه بذراعين معقودين على صدره قائلاً:

ـ حدثني بأمر واحد أيها (التركي)، إلى أي جانب تقف في نهاية الأمر؟

فرد (السوري) دون ارتباك:

ـ إلى جانب نفسي...»[2]

---

(١) أرض ثمارها من ذهب ص ٥١.

(٢) في ساعة نحس ص ٦٧

وكان الحلاق كمواطن كولومبي على العكس من موسى يرى بأن السياسة قد تمسه وتمس أبناء جاليته وأراد اخراجه عن مبالاته بقوله:

ـ «أنت مخطىء، ينبغي على الأقل أن تذكر أن الضلوع الأربعة التي حطموها لـ (ابن الياس) مواطنك بأوامر من دون تشيبي مونتيل.

قال (السوري)

ـ (الياس) يشعر بضيق إذ اتضح أن ابنه (سياسي) لكن الفتى الآن يمضي وقتًا بديعًا في الرخص بالبرازيل وتشيبي مونتيل من الهالكين...»[1]

وكان العمدة كثيرًا ما يجلس إليه في الدكان ويناقش معه أمور الحياة اليومية.

«جلس بعد قليل في حانوت (موسى السوري) ومضى يراقب حركات الزوارق .. لفت (موسى السوري) نظره إلى شيء جديد فقد أقبل على البلدة سيرك... قال (العمدة):

ـ البلدة تحرز الآن تقدمًا.

كفّ (موسى السوري) عن استجلاب الهواء. وقال:

ـ أتعرف بكم بعت اليوم؟

لم يحاول العمدة التخمين وانتظر الإجابة.

قال (السوري):

ـ خمسة وعشرون سنتافو.

... كان الغسق يقبل فوقف العمدة متنهدًا.

ـ خمسة وعشرون سنتافو؟!

كرّر (السوري) بصوت حازم لا تشوبه لكنة على وجه التقريب:

ـ خمسة وعشرون سنتافو...»[2]

---

(١) في ساعة نحس ص ٦٨

(٢) المصدر نفسه ص ٩٣.

وقرر موسى السوري هجر المدينة الصغيرة لأن الرزق فيها شحيح وحين مضى إليه العمدة ودخل «إلى حانوت (موسى السوري) كانت الساعة قد أوشكت على بلوغ الثامنة وقد شرع (السوري) في جمع السلع المعروضة إلى جوار الباب.

قال له العمدة: هكذا ترحل بدورك.

قال (السوري) ناظرًا إلى السماء: لفترة قصيرة سيهطل المطر.

قال العمدة كمن يقرر حقيقة: المطر لا ينهمر في أيام الأربعاء.

تراجع بكوعيه فأسندهما إلى النضد ملاحظًا السحب الكثيفة المحلقة فوق الأرصفة حتى انتهى (السوري) من جمع السلع وطلب من زوجته أن تجلب لهما بعض القهوة. تنهد كمن يحدث نفسه:

ـ على هذا النحو سنضطر إلى اقتراض الناس من المدن الأخرى.

احتسى العمدة قهوته على مهل. كانت ثلاث عائلات أخرى قد غادرت البلدة ووفقًا لتقديرات (السوري) يبلغ عدد العائلات الراحلة مع هذا التطور خمس عائلات في أسبوع واحد...»[1]

٦ - شخصية إدغار فريز المعروف بالسوري:

شخصية عربية أخرى، تظهر في رواية تريزا باتيستا ولكنها شخصية ثانوية. فإن إدغار سائق تاكسي من أصل سوري يعمل في مدينة باهيا عمله نقل الرّكاب والحديث معهم أو الوقوف والانتظار والمشاهدة.

ففي المشهد الأول التقطه الكاتب في سيارته ينتظر راكبًا يؤجر سيارته فوصفه هكذا:

«جلس سائق التاكسي إدغار في سيارته حائرًا في أمره في محلة (كاستر ألفيس) الحركة بطيئة في تلك الساعة عندما يكون أغلب الناس في منازلهم،

(١) المصدر نفسه ص ٢١٢.

يأكلون، يتحدثون ويصغون إلى الإذاعة ويستعدون للراحة أو الخروج مع سحب الناس من (باروكينيا) وإقفال النزول مساء أمس، فإن تدفق الزبائن قد تدنى كثيرًا في الجوار. وما يزال الوقت مبكرًا ليفتح ملهى (التباريس) أبوابه وتبدأ الحيوية من جديد. وجد إدغار نفسه وحيدًا في المحطة بينما سائر السائقين قد ذهبوا للعشاء ولم يعودوا بعد. ووسط الهدوء وفي انشغاله لكي لا يحضر زبونًا ما فتح عينيه وتبين غياب أي شخص مهتم بالانتقال بالتاكسي إلى مكان ما.

وقبل أن يعود إلى النوم ألقى نظرة على المحلة، ليس هناك سوى (جاسيرا فروتاباو) تبيع الذرة والفستق وجوز الهند. لا أحد تقريبًا. إنها ساعة معدومة علق نظره في مكان ما فأصابته الدهشة. أين تمثال الشاعر (كاسترو ألفيس) إنه ليس في أعلى القاعدة وهو يمد يده نحو البحر الواسع مطالبًا بالعدالة للشعب إلى أين ولماذا نقلوه؟ بالتأكيد لينظفوه ولكنهم دائمًا كانوا ينظفونه وهو في مكانه! ودون حاجة إلى رفعه! غدًا بالتأكيد ستشرح الصحف السبب الأكيد وعاد إدغار إلى شخيره المتقطع وقبل أن يخلد إلى النوم انتبه إلى أن المحلة تصبح مختلفة، صغيرة بدون تمثال الشاعر...»[1]

إن هذا الحلم الذي رآه السائق في نومه المتقطع وتخيله به اختفاء تمثال الشاعر كان بالنسبة له حقيقة لا ريب فيها ولذلك فإنه ينقل هذا الحلم لأحد ركّاب سيارته وكأنه حقيقة رآها فعلاً وهو مندهش يخلط ذلك بقدرة الآلهة الوثنية على فعل كل شيء ولذلك فهو يذكر ذلك مع إظهار شيء من التردد وكأنه يتكلم عن معجزة كانت سببًا في اختفاء التمثال. قال:

«أأشرح، لا أشرح! ولكن أخبرتك لأنك رجوتني بإلحاح والسائق ملزم بمعاملة الزبائن معاملة جيدة يتحدث إليهم ويعلق ليجعل الطريق جميلاً من يفكر بشرح كل شيء في هذا العالم واضعًا كل أمر على محك التحليل أسرار الحياة في خطوط النظريات ليس إلاّ ماديًا مزورًا وعالمًا عاجزًا وراسمًا للقواعد ومؤرخًا لسفرة قصيرة. إنه أبله! ولكني أنهي حديثي فإن أمرًا غريبًا

---

(١) تريزا باتيستا ص ٤٤١.

حدث لي يضاف ويوضح فوق كل ما سمعت أنا (إدغار فريزا) المعروف بكل محلة باهيا بـ (السوري). لقد قلت لك كيف رأيت في تلك الليلة القاعدة التي رفع عنها تمثال الشاعر (كاسترو ألفيس) في المحلة التي تحمل اسمه وحيث أجعل نقطة وقوفي. أجل إنني حين استيقظت ثانية فيما بعد وعند مرور سيارات الشرطة وهي تحمل النساء أسرى في نهاية العراك رفعت عيني إلى التمثال فماذا رأيت؟ تمثال الشاعر وقد عاد إلى مكانه المعتاد وذراعه ممدودة إلى البحر وفي يده منحوتة عليها صور نساء وكلمات لا معنى لها. هل فكرت؟ والآن لينس الصديق العزيز كل هذا. أتمنى لك ليلة سعيدة وكن حذرًا مع الإله ايشو»[1].

ويمكن أن نقول إن كتّاب أمريكا اللاتينية قد أفسحوا للشخصية العربية في رواياتهم مجالاً واسعًا كشفوا فيه عن حياة وسلوك هذه الشخصيات بشيء كثير من الدقة والصدق والخفة والتقدير بحيث تتخذ الشخصية العربية مكانها في النسيج الاجتماعي المحلي فلا تبدو غريبة أو شاذة إلاّ في حالات نادرة.

(١) تريزا باتيستا ص ٤٤٧.

الفصل الثاني

الشخصيات الكبرى

شخصية نسيب أشقر سعد

١

يبدأ جورج أمادو روايته (غابرييلا) بقوله:

«في تلك السنة، العام ١٩٢٥ تمت قصة الخلاسيّة غابرييلا والعربي نسيب واستمر فصل الأمطار أكثر من المعتاد»[١].

وقد نسج الكاتب هذا الحدث في صلب رواية تتشابك فيها الأحداث الاجتماعية والسياسية وسوف نحاول هنا أن نستخرج خلاصة لهذه القصة التي تلقي الضوء على تحليل الكاتب لشخصية «نسيب».

كانت حياة نسيب حياة لاهية فقد كان أعزب ونجد إشارات إلى هذه الحياة على لسان الشخصيات المختلفة قال أحدهم:

- «إني أموت من النعاس، لم أنم تقريبًا، ذهبت إلى كاباريه باتاكلان مع العربي نسيب وانتهينا بالذهاب إلى بيت (ماشادون) حيث الأكل والمرأة»[٢].

---

(١) رواية غابرييلا ص ٢٤.

(٢) المصدر نفسه ص ٤٤.

ويمتلك نسيب حانة يديرها ولها طباخة عجوز تهدده دومًا بالمغادرة للذهاب إلى العيش مع ابنها في مدينة أخرى وكان قد مضت عليها وهي تعمل معه منذ ابتياع الحانة أربع سنوات وكان يعمل معها في الحانة «شيكو» ابن جارته الدونا ارميندا وكان هو الذي أخبره برغبة الطاهية بالمغادرة. وتركته مبكرة في الصباح داعية له أن يوفقه الله ويرعاه وأن يساعده على إيجاد زوجة صالحة.

ولم تشأ الدونا ارميندا مساعدته في إعداد طعام الحانة فهي قابلة مشغولة بالتوليد وبالجلسات الروحية.

ويقدم لنا (جورج أمادو) خلاصة عن أصول نسيب. ويقول:

«كان شائعًا أن ينادوه (بالعربي) وحتى (بالتركي) جاعلينه هكذا مضطرًا لأن يترك نفسه كليًا طليقًا من أي شك بخصوص الشرط في كونه البرازيلي بالولادة وليس المتجنس نسيب.

ولد في (سورية) ونزل من الباخرة في ايليوس ولديه من العمر أربع سنوات آتيًا بباخرة فرنسية حتى (باهيا). في ذلك الوقت كان يصل إلى الأرض المزروعة بالكاكاو التي تدر مالاً إلى المدينة ذات الشهرة الواسعة، يوميًا عن طريق البحر والنهر والأرض وعلى متن البغال وعلى الأقدام مئات من المواطنين والأجانب منحدرين من كل الأنحاء... من الريو، من (سورية) ومن إيطاليا، من (لبنان) ومن البرتغال ومن إسبانيا...»[1]

ثم يقدم لنا المعلومات من أقربائه وعائلته فيقول:

«كان أقارب نسيب قد باتوا من أهالي ايليوس من الخارج ومن الداخل إضافة إلى كونهم برازيليين مجنسين وهم من آل أشقر المتورطين في الصراعات على الأرض حيث أفعالهم كانت من الأفعال الأكثر بطولية والأكثر مثارًا للتعليق، لم يكن يضاهيهم إلاّ آل بادارو. : . أحدهم واسمه (عبدالله) هو الثالث في العمر مات في جناح خلفي لإحدى الكباريهات في

(١) المصدر نفسه ص ٦١.

بيرانجي بعد أن جندل ثلاثة من بين خمسة قبضايات أرسلوا ضده حينما تنازع سلميًّا على لعبة البوكر. وقد انتقم أشقاؤه لمقتله بصورة لا تنسى. ولمعرفة هؤلاء الأقارب الأثرياء لنسيب يكفي التدقيق في الوقائع السنوية للقضاء وقراءة مرافعات المدعي العام والمحامين»[1].

وكان نسيب يغضبه أن يلقب بـ (التركي) كما هي الحالة في اطلاقها على (العربي) الذي جاء من الشرق العربي قال أمادو:

«كثيرون ينادونه بالعربي، وبالتركي هذا حقيقة ولكن الذين يفعلون هذا هم بالضبط أفضل أصدقائه ويفعلون ذلك في تعبير من الحنو، من الصمبمية ولم يكن يحب أن ينادوه (تركيًا) وكان يرد ثائرًا على اللقب وأحيانًا يصل إلى حد إغاظة المنادي

- تركي. . . هي أمك
- لكن يا نسيب
- كل ما ترغبه إلاّ تركي. . . برازيلي!!

وكان يضرب يده الضخمة على صدره الكثيف بالشعر ويستدرك

- ابن سوريين بفضل الله
- عربي، تركي، سوري، كله الشيء ذاته
- الشيء ذاته، إنه قرن! هذا جهل منك وعدم معرفة بالتاريخ والجغرافيا. فالأتراك قطّاع طرق، هم الجنس الملعون في الوجود لا توجد إهانة لسوري أسوأ من أن ينادى بالتركي.
- أوه يا نسيب لا تغضب. لم يكن ذلك بقصد إلحاق الإهانة بك. فإن هذه الأمور الأجنبية بالنسبة إلينا كلها متساوية»[2].

ثم يعطي أمادو بعض أوصاف هذه الشخصية العربية:

«ربما كانوا ينادونه هكذا بسبب شاربيه الأسودين الشبيهين بشاربي سلطان مخلوع عن العرش، وانحدار شفتيه اللتين يمسّد طرفيهما عندما يتكلم

---

(١) المصدر نفسه ص ٦٢.
(٢) المصدر نفسه ص ٦٢-٦٣

وليس لمنبته الشرقي. شاربان كثيفان مزروعان في وجه سمين وطيب، ذي عينين وسيعتين، تغدوان جريئتين عند مرور النساء، فم شهواني كبير وذو ابتسامة مطواعة، برازيلي ضخم، طويل وبدين، وجه مسطح وشعر غزير، بطن متعاظم جدًا، بطن التسعة أشهر، كما كان يتندر النقيب عندما يخسر لعبة الداما على اللوحة ذات المربعات»[١].

ويذكر الكاتب هجرة آل أشقر إلى ايليوس حيث يهاجر الرجال أولاً ثم تتبعهم العائلة و«قد سافر هو فيما بعد. مع أمه وأخته الكبرى ذات السنوات الست ولم يكن نسيب قد أكمل بعد سنته الرابعة»[٢]. ثم جرت عملية تجنيس وتسجيل وبوساطة شهود مقبولين «أكّدوا أن الصغير نسيب والعتيدة سلمى ولدا عزيز وثريا كانا قد ولدا في دسكرة في فيراداس وقد سجلا سابقًا في مكتب قيد النفوس قبل الحريق»[٣].

كان نسيب يعمل ابتداء في دكان عمّه يبيع القماش ويقصه وبلفه للزبائن. ولم يرغب بالاشتراك مع عمّه وصهره حيث تزوجت أخته من اختصاصي بالزراعة وكان عمّه رجلاً لا يرغب بالتجديد أو التطور فباع حصته من المتجر واشترى الحانة من شخص إبطالي منذ خمس سنوات وأصبح محبوبًا من روّاد الحانة من العرب مثل معلوف وفؤاد أو أهل البلد وكان نسيب يدمن على الأكل الجيد الممزوج بالتوابل والفلفل.

وزار نسيب الشقيقتين دوس ريز للاتفاق على الطبخ للحانة ولكنهما كانتا تسألان أجرًا عاليًا ومع ذلك فقد تنفل نسيب في أنحاء ايليوس وقطعها من طرف إلى آخر للبحث عن طباخة للحانة الجديدة. وفي إحدى جولاته في المدينه وقد مرّ في سوق مزدحم فرأى فقراء الباعة العرب يعرضون بضاعتهم.

«عرب فقراء. . . بائعون جوالون على الطرقات كانوا يعرضون حمائبهم المفتوحة حاجيات تافهة، قطعًا رخيصة من قماش الشيت، عقودًا زائفة

---

(١) المصدر نفسه ص ٦٣.
(٢) المصدر نفسه ص ٦٣.
(٣) المصدر نفسه ص ٦٤.

ومدهشة للنظر، خواتم لامعة من الزجاج، عطورًا تحمل أسماء أجنبية مصنوعة في سانت باولو، وخلاسيات وزنجيات خادمات في البيوت الثرية كن يتكومن أمام الحقائب المفتوحة.

ـ اشتر يا زبونة، اشتر إنها رخيصة.

اللفظ مضحك والصوت يغوي وتعقد مساومات طويلة. العقود على الصدور الزنجية والأساور في الأذرع الخلاسية. إنه إغراء وزجاج الخواتم يشع إزاء الشمس حتى الماس لا يشع مثله.

ـ كله حقيقي من أفضل الأصناف.

قطع نسيب نقاش الأسعار. هل يعرف أحد طاهية جيدة؟... بسط البائع الجوال قرطًا لنسيب:

ـ اشتر يا ابن الوطن، هدية لامرأتك، لعروسك، لفتاتك.

واصل نسيب طريقة غير مبال لكل الإغراءات»[١]

وعاد من بحثه يستمر في عمله في الحانة وفي وسط مشاغله جاء الخبر الذي شغل روّاد الحانه:

«العقيد جيزوينو قتل الدونا سينيازينيا والدكتور أوزموندو إنهما وسط الدماء»[٢] إن الرجل قتل زوجته وعشيقها بعد أن وجدها معه في الفراش عارية إلاّ من زوجيْن من الجوارب السوداء.

«فيما العربي نسيب يمضي من مائدة إلى أخرى مشتركًا في الأحاديث محتسبًا مع الأصدقاء لم يكن يستطيع الاستسلام كليًا إلى متعة التعليقات حول المأساة كما كان يرغب بالتأكيد فان القلق على الطاهية يحزنه. ان قصصًا كتلك عن الغراميات المحرمة والانتظام المميت مع تفاصيل جد دقيقة. جوربين اسودين! رباه! انها لا تحدث كل يوم وهو مضطر إلى الخروج بحثًا عن الطاهية في وسط المهاجرين القادمين إلى سوق العبيد»[٣].

(١) المصدر نفسه ص ٩٧.

(٢) المصدر نفسه ص ١٤٩

(٣) المصدر نفسه ص ١٥٨.

واستمر الحديث حول الجريمة «وعادوا إلى تذكر قضايا مشابهة. مسألة العقيد فايريسبو الذي طعن زوجته بمدية وارسل قبضاياته ليطلقوا النار على العشيق حينما عاد هذا من اجتماع ماسوني إنّها عادات قاسية، تقاليد الثأر والدم، قانون صارم.

والعربي نسيب أيضًا بالرغم من اضطراباته ـ حلوى الشقيقتين دوس ريز واطعمتهما المالحة قد تبخرت ـ اشترك في الحديث. وكدأبه ليقول ان في (سورية) بلد ذويه كان الوضع أيضًا أكثر رعبًا. وقف لصق المائدة يسيطر على الحضور بجسده الضخم ويران الصمت على الموائد الأخرى ليسمعوه بشكل أفضل.

ـ في بلاد أبي، الوضع أسوأ.. فهناك شرف الرجل المقدس وبهذا لا أحد يمزح ان ذلك يقع تحت طائلة.

ـ طائلة ماذا أيها العربي؟

جال النظر ببطء نحو السامعبن، زبائنه وأصدقائه وأخذ وضعًا دراماتيكيًا ثم قدّم رأسه الكبير إلى الأمام.

ـ هناك المرأة العديمة الحباء تنتهي بالسكين على مهل، تقطع إرباً. وقال صوت نيوغالو الاخن:

ـ تقطع اربا؟

اقترب نسيب بوجهه العبثي ووجنتيه الكبيرتين البريتتبن وتصنع هيئة قاتل وفتل طرف شاربه

ـ أجل أيها الإشبين نيوغالو لا أحد هناك يرضى بقتل المرأة العديمه الشرف بهذا الشيء، طلقتين أو ثلاث طلقات نارية صغيرة عليها وعلى الرجل السيء فهناك بلد الرجل الفحل وبالنسبة إلى المرأة الفاقدة الحياء فان التعامل معها غير ذلك. المرأة السيئة تقطّع اربًا ويبدأ ذلك بطرف ثدييها. حتى العقيد ريبيرينيو كان يشعر بالرغبة.

ـ طرف ثدييها ياللبربرية

ـ أية بربرية؟ انه لا شيء فالمرأة التي تخون زوجها ليست جديرة بأقل من هذا فأنا لو كنت متزوجًا وزوجتي أضاءت لي جبيني آه! لو حدث معي لكان

الأمر حسب القانون السوري تقطيع جسدها... ما كنت أفعل أقل من هذا...

أبدى الدكتور مادريسيو اهتمامًا وتأثرًا

ـ والعشيق؟

ـ ملطخ الشرف الخاص؟

استمر واقفًا مرتعبًا تقريبًا ورفع يده ثم أطلق ضحكة ضئيلة وعميقة وأردف:

ـ الشقي؟ آه.. يمسكه بعض الرجال من أولئك السوريين الجبليين القساة فينزعون سرواله ويبعدون ساقيه عن بعضهما والزوج مع الموسى ذات الحد القاطع.

ترك يده تنزل بحركة سريعة وهو يروي البقية:

ـ ماذا؟ لا تقل لي هذا!

ـ هكذا يا دكتور يخصونه!

مرر جوان فولجنسيو يده على ذقنه

ـ عادات غريبة يا نسيب، في النهاية لكل بلاد تصرفها.

قال النقيب:

ـ انه الشيطان، ونساء ناريات كما هن هؤلاء، التركيات، يجب أن يكون هناك كثير من الخصيان...

وأيد الدكتور مادريسيو:

ـ ومن طلب منه أن يورط نفسه في بيت محرّم ليسرق ما ليس له؟ انه شرف اسرة! انتصر العربي نسيب فابتسم ونظر إلى زبائنه بحنو. كان يحب تلك المهنة، صاحب حانة، تلك الأحاديث! المناقشات، جولات الغامون والداما ولعب البوكر... ودعاهم النقيب:

ـ هيا إلى جولتنا في اللعب.

ـ ليس اليوم، فالحركة ضئيلة وبعد قليل سأخرج لابحث عن طاهية»[1].

---

(١) المصدر نفسه ص ١٧٥ و ١٧٦ و ١٧٧.

وخرج نسيب للبحث عن طاهية وتذكّر في الطريق جريمة قتل الرجل وزوجته وقال في نفسه:

«بسبب هذه الأمور وغيرها لم يتزوج حتى لا يغدو مخدوعًا ولا يقتل ولا يريق الدم الخاص ويدخل خمس رصاصات في صدر المرأة. كان يحب كثيرًا أن يتزوج كان يشعر بفقدان الحنان، الرقة، الاسرة، البيت المليئ بالحضور الانثوي ينتظره عند منتصف الليل حينما يغلق الحانة. التفكير يلاحقه من آن لآخر مثلما يلاحقه الآن وهو في طريقه إلى سوق العبيد»[1].

وكان طموح نسيب ورغبته في النجاح والمال وشراء قطعة أرض لشراء الكاكاو يشغله عن ذلك.

٢

والتقى بغابرييلا مع عجوز كانت الفتاة تساعدها وهي تغني لعازف هارمونكا فسألها نسيب:

ـ «ما هو الشيء الذي تحسنين القيام به؟

ـ قليل من كل شيء....

ـ والطهو؟

ـ لقد كنت طاهية حتى في بيت أُناس أثرياء»[2]

ولم يصدقها فهي مهاجرة جائعة يمكن لها أن تكذب لتحصل على عمل فأراد أن يودعها واستدار ليذهب في طريقه ولكن سمع صوتا أوقفه:

ـ «يا للشاب الجميل!

توقف، لم يذكر ان احدًا رآه جميلاً باستثناء العجوز ثريا، أمه في أيام الطفولة. كانت صدمة له تقريبًا.

ـ تريثي!

ثم عاد ليتفحصها، كانت قوية فلماذا لا يجربها.

---

(١) المصدر نفسه ص ١٨٢-١٨٣.

(٢) المصدر نفسه ص ١٩٠.

ـ هل تحسنين الطهو حقًا؟
ـ ليأخذني الشاب وير.

إذا لم تحسن الطهو سوف تساعده على الأقل في ترتيب البيت وتغسل ثيابه.

ـ كم تريدين أن تكسبي؟
ـ الشاب هو الذي يعرف ليدفع ما يريده.
ـ لنر أولاً ما تحسنين وبعد ذلك نتفق على المرتّب هل يناسبك هذا؟
ـ بالنسبة إليّ كل ما يقوله الشاب حسن.
ـ إذًا خذي صرّتك...»[١]

ثم سألها عن اسمها فأخبرته بانها تدعى غابرييلا وأوصلها إلى بيت تحت نظر جارته الفضولية الدونا آرميندا وتركها في البيت ليذهب إلى الحانة وقال لها قبل أن يخرج:

ـ«وخذي حمامًا فانت في حاجة إليه»[٢].

وحين وصل إلى الحانة سأله أحدهم عن الطاهية فقال:

ـ«انتهيت بتدبير واحدة من أهل السرتون.
ـ شابة؟
ـ لا أدري مع كل تلك الوساخة لا تكاد ترى هؤلاء الناس ليس لديهم عمر يا سيد توينكو حتى البنات يبدين هرمات.
ـ جميلة؟
ـ كيف أعرف؟ إنها مائعة، قذرة، شعرها متجعد بالغبار قد تكون عفرية فبيتي ليس كبيتك حيث تبدو الخادمة فتاة مجتمع»[٣].

وبعد أن أنهى عمله في الحانة بعد هزيع من الليل وصل إلى بيته.

«دخل بهدوء وشاهدها نائمة على مقعد وشعرها الطويل متناثر على

---

(١) المصدر نفسه ص ١٩٠-١٩١.
(٢) المصدر نفسه ص ١٩٨.
(٣) المصدر نفسه ص ٢٠١.

كتفيها بعد ان غسلته وسرّحته تبدّل إلى شعر طليق، أسود، ملتف الخصلات وكانت ترتدي اسمالاً لكنها نظيفة، من الصرّة بالتأكيد، وأظهر خرق في تنورتها قسما من فخذها الذي بلون القرفة وكان الثديان يرتفعان ويهبطان بشكل خفيف حسب ايقاع النعاس والوجه مبتسمًا ظل نسيب متوقفًا من غير أن يصدّق.

ـ رباه!

تفحّصها في اندهاش لا يحد. كيف يختبئ كل هذا الجمال تحت غبار الدروب؟ بذراعها الملتفة والمتدلية ووجهها الأسمر والمبتسم في نوم عميق كانت هناك متخدرة على المقعد، تبدو لوحة. كم سنة لديها؟ جسد امرأة فتية وملامح طفلة.

همس العربي باعجاب تقريبًا:

ـ رباه، يا لها من امرأة!

استيقظت جزعة على صدى صوته، لكنها ابتسمت حالاً وبدت القاعة كلها تبتسم معها ثم وقفت ويدها تسوّي الاسمال التي ترتديها وضيعة ومشعّة كقليل من ضوء القمر.

ـ لماذا لم تستلقي؟ لِمَ لَمْ ترقدي؟

كان هذا هو كل ما استطاع نسيب قوله:

ـ الشاب لم يقل شيئاً.

ـ أي شاب؟

فقالت بصوت مترنم بلهجة الشمال الشرقي:

ـ أنت أيها السيد، لقد غسلت الثياب ورتبت البيت بعد ذلك بقيت انتظر فاستسلمت للنوم.

كان يفوح منها عطر القرنفل، ربما من شعرها من يدري قد يكون من قفاها

ـ هل تحسنين الطهو حقاً؟

كان الضوء والظل على شعرها والعينان منخفضتين والقدم مستقيمة تنزلق على أرضية القاعة كأنها خارجة للرقص.

ـ اعرف، أجل يا سيدي، لقد عملت في بيت أُناس أثرياء علموني، حتى اني احب الطهو.

ابتسمت وكل شيء ابتسم معها حتى العربي نسيب ترك نفسه يسقط على مقعد»[1] وبعد أن تركت له الخيار في دفع المرتب ووعدته بأن تطبخ له في الغد بقيت «تنتظر وعلى شفتيها ابتسامة. وتراكم ضوء القمر في شعرها ورائحة القرنفل تلك.

ـ والآن اذهبي لتنامي فالوقت متأخر.

خرجت ورمق ساقيها واهتزاز جسمها وهي تمشي، القسم من الفخذ الذي بلون القرفة التفتت إليه بوجهها:

ـ إذاً ليلة سعيدة أيها السيد الشاب»[2].

وجاء شيكو موليزا يحمل الطعام الذي صنعته غابرييلا إلى المطعم وتقدم نسيب إلى المائدة التي وضع عليها قائلاً:

« ـ هيا نرى أي نوع هي هذه الطاهية اقترب تونيكو بفضول:

ـ الجديدة؟

وترك شيكوموليزا الكلمات تتدحرج بكسل:

ـ ما رأيت سمراء أجمل منها قط.

ـ وأنت الذي قلت لي بانها كانت بلهاء؟ أيها العربي الذي لا تستحي. انك تخفي الحقيقة عن صديقك، هيه؟

... واستجوب تونيكو: شيكو موليزا:

ـ هل هي حقًا جميلة؟

ـ جميلة فقط؟

---

(١) المصدر نفسه ص ٢٠٥-٢٠٦.

(٢) المصدر نفسه ص ٢٠٧.

انحنى فوق الأطباق:

ـ ولا تحسن الطهو، أليس كذلك أيها (التركي) الكذّاب ـ ، حتى إنها تشقيك. . . عاد نسيب إلى الهتاف بعد الملعقة الأولى ثم أردف:

ـ مَنٌّ من السماء يا سيد نسيب، هذه المرة يشاء الرب أن أخدم جيدًا.

ـ للمائدة وللسرير هيه، أيها التركي؟

شبع نسيب وبعد خروج تونيكو تمدَّد كما يفعل كل يوم على السرير المخصص للقيلولة في ظل شجرة في الفناء الخلفي للحانة.

. . . بعد وقت سيذهب إلى متجر عمه ليجلب فستانًا رخيصًا، لقد ضمن بالطاهية الأطعمة المالحة والحلوى للحانة.

لم يفكر أن تلك المهاجرة المغطاة بالغبار المرتدية أسمالاً تحسن الطهو، وان الغبار يخفي كل ذلك البهاء، كل ذلك الاغواء، فنام في سلام الرب وهواء البحر يداعب شاربيه»[١].

وأصبحت غابرييلا طاهية الحانة وهويها نسيب واستذكر نسيب حاله معها:

«ثلاثة أشهر وسبعة عشر يومًا من أكل الطعام الذي تتبّله لا يوجد في ايليوس بأسرها طاهية يمكن أن تقارن بها ثلاثة أشهر وستة عشر يومًا وهو ينام معها ابتداء من الليلة الثانية، حينما أضاء ضوء القمر فخذها في ظلمة الحجرة، وقفز النهد من قميص النوم الممزّق»[٢]

وكان بما يدفع لها من راتب وما يقدّم لها من هدايا متواضعة يرى كأنها ملزمة بما تقدم له من خدمة وكأنه يؤدي لها معروفًا بالرقاد معها. وأصبحت غابرييلا تأتي إلى الحانة بنفسها تحمل الطعام و«حينما شرعت غابرييلا تأتي إلى الحانة ابتهج مهتمًا ـ يا للأبله ـ بالقروش التي يكسبها لقاء دورات الشراب المتكررة من دون أن يفكّر في خطر هذا الاغواء الذي يتجدّد يوميًّا

(١) المصدر نفسه ص ٢١٥-٢١٦.
(٢) المصدر نفسه ص ٢٥٩.

يجب ألا يمنعها من المجيء، هل يترك كسب المال؟ لكن من اللازم أن يضعها تحت عينيه يوليها اهتمامًا أكثر. يشتري لها هدية أفضل»[١].

وفكّر فيما لو فقدها «فكيف سيستمر في الحانة بدون أطعمة غابرييلا المالحة والحلوى؟ بدون ابتسامتها اليومية وحضورها للحظات عند منتصف النهار؟ كيف سيعيش هو من دون غداء وعشاء غابرييلا؟ الأطباق العاطرة، المرق الداكن اللون من الفلفل، الكوسكور عند الصباح؟ وكيف يعيش من دونها، من دون ابتسامتها الخجولة والصريحة؟ لونها المحروق كلون القرفة، عطرها الفلفلي، حرارتها، استسلامها، صوتها وهو يقول له: (شاب جميل)، الموت الليلي في ذراعها، ذلك الحرّ المنبعث من ثدييها، نار الفخذين، كيف؟

وشعر آنئذ بما تعنيه غابرييلا له. رباه! ماذا يجري؟ لماذا ذلك الخوف الفجائي من فقدانها؟ لماذا كان نسيم البحر ريحًا جليدية تجعل شحمه يرتجف؟ كلا. إنّه لا يفكّر بفقدانها، فكيف يعيش من دونها؟»[٢].

٣

وبدأ نسيب يتحسّس أن شعورًا خاصًا ينمو في صدره لهذه المرأة الخلاسية ولذلك بدأ يسائل نفسه:

«كان نسيب يتساءل قلقًا أخيرًا أن ما يشعر به ازاء غابرييلا لم يكن يشعر به ازاء طاهية عادية، خلاسية جميلة بلون القرفة من يرقد معها بمزاج أم انه لم يكن بسيطًا هكذا؟ ولم يشجع في العثور على إجابة!»[٣].

وناقش نسيب بعض أمور البلدة مع تونيكو فقال له:

«ـ لماذا لا تهتم بحياتك أيها السيد التركي؟ وبدلاً من أن تتكلم ببلاهات

(١) المصدر نفسه ص ٢٦٣.
(٢) المصدر نفسه ص ٢٦٣-٢٦٤.
(٣) المصدر نفسه ص ٢٦٤.

لماذا لا تهتم بما هو لك؟ . . .

ـ ماذا تبغي قوله من وراء ذلك؟

ـ انتبه لكنزك، يوجد أُناس يريدون سرقته.

ـ كنز؟

ـ غابرييلا أيها الجاهل، حتى إنهم يريدون أن يخصصوا لها بيتا!»[١] وحين فاتحها بعض الأغنياء بأن تترك الطبخ للحانة وتسكن في بيت يؤجره لها ويتخذها خليلة رفضت وجالت في خاطرها ذكريات العيش مع السيد نسيب:

«إنها راضية بالسيد نسيب، كان النوم معه ممتعًا، رأسها يرتاح على صدره الكثيف الشعر. تتحسس على فخذيها ثقل ساق رجل بدين وكبير، شاب جميل بشاربيه اللذين يدغدغان عنقها.

شعرت غابرييلا برعشة، كان النوم مع رجل جيد، لكن ليس مع رجل عجوز من أجل بيت وطعام وفستان وحذاء، بل مع رجل شاب، تنام معه من أجل النوم، رجل قوي وجميل مثل السيد نسيب»

وخطر لها ما قالته لها الدونا آرميندا حول إمكانية الزواج من نسيب وكانت تراه محالاً «هذه الدونا آرميندا، مع كل الروحانية تغدو مجنونة فأي فكرة بدون قدمين ولا رأس: تلك هي حول الزواج من السيد نسيب. كم هو جميل التفكير! آه! كان جميلاً . . . تتأبط ذراعه وتخرج للتمشي معه في الشارع حتى ولو كان ذلك بحذاء ضيّق، فيدخلان السينما وتجلس ملتصقة به وتسند رأسها إلى كتفه الناعمة كأنها وسادة. . .»[٢]

وازداد قلق نسيب على غابرييلا وخوفه من أن يغريها أحدهم فتتركه

«احتسى نسيب شمبانيا، ليس من أجل زيادة استهلاك المشروب الغالي ويكسب نقوداً، إنّما لينسى معاناته وليهرب من الخوف الذي لم يعد يتركه، المخاوف التي تلاحقه نهاراً وليلاً. فالدائرة التي تحيط بغابرييلا تتزايد وتضيق

---

(١) المصدر نفسه ص ٢٦٥.

(٢) المصدر نفسه ص ٢٨٧.

الخناق عليه. كانوا يرسلون إليها رسائل، عروضاً، قصاصات صغيرة من الورق فيها تغزّل. يعرضون عليها رواتب ممتازة لطاهية لا تضاهى، منزلاً للاقامة...»[1]

وبدأ داء العشق يسري في جسد نسيب ولاحظه تونيكو باستوس وهو يتناول معه شرابه فقال له:

- «إنك تتساقط أيها العربي، فلا تبدد نفسك...

- ألا ترى؟ إني أقضم في داخلي، وهذا يأكل لحمي صرت كالأبله...

- العشق ليس مزحًا...

- العشق؟

- أليس كذلك، فالحب أفضل واسوأ ما في الدنيا.

عشق... حب... كان يناضل ضد هاتين الكلمتين خلال أيام وأيام وفي تفكيره عند ساعة القيلولة إنه لا يريد بعد أن يزن مشاعره، لا يريد مواجهة واقع الأمور وجهًا لوجه كان يفكر ان ذلك مجرد مغازلة أقوى من المغازلات الأخرى وأطول على البقاء، لكنه ما تعذّب قط بسبب مغازلة وما شعر بهذه الغيرة قط، بهذا الخوف، بهذا الرعب إزاء افتقادها... والذي يحدث هو أن من المحال التصور بأنه سيكون ذات ليلة من دون غابرييلا، من دون حرارة جسدها حتى في الأيام المستحيلة. كان ينام في سريرها فتحضنه إلى صدرها وينساب عطر القرنفل في أنفه.

كانت اذن ليالي أرق، فيها الرغبة مكبوتة يكوّمها لليالي الزفاف الحقيقية التي تتجدد كل شهر. فإذا كان هذا ليس جدًّا، عشقًا يائسًا، فماذا كان يا ربي؟ وإذا كان جدًّا وإذا استحالت الحياة من دونها فما هو الحل؟...»[2]

وقال نسيب لتونيكو وهو يحادثه:

- «سأقول لك يا تونيكو بدون هذه المرأة لا أستطيع العيش، سأصبح مجنونًا إذا تركتني.

---

(١) المصدر نفسه ص ٢٩٩.

(٢) المصدر نفسه ص ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١.

ـ وما الذي ستفعله؟
ـ لا أدري

كأن وجه نسيب حزينًا، فقد أضاع ذلك الشباب المنتشر على الوجنتين السمينتين بدا طويلاً مغتما، جنائزيًا تقريبًا.

وانتفض تونيكو بغتة كأنه يخمّن ما بداخل صدر صديقه.
ـ لماذا لا تتزوج منها.
ـ انك تمزح؟ لا يمزح بهذا الأمر...
ـ لو كنت مكانك لكان هذا ما أفعله»[١]

وفكّر نسيب طويلاً في قول صاحبه ثم ردد لنفسه قوله:
ـ «(لو كنت مكانك لكان هذا ما أفعله). من اليسير القول عندما تعني الاخرين لكن كيف تتزوج من غابرييلا وهي طاهية خلاسية بلا عائلة، بلا أهل، عثر عليها في سوق العبيد؟ الزواج هو من آنسة ذات خصال من أسرة معروفة ذات جهاز عرس مهيّأ ذات ثقافة جيدة، وذات عذرية محصنة. ماذا يقول عمه، عمته الفاقدة الصبر؟ اخته؟ صهره المهندس الزراعي؟ وهو من اسرة صالحة؟ ماذا يقول آل أشقر أقاربه الأثرياء، ملاك الأرض، الآمرون في ايتابونا؟ اصدقاؤه في الحانة... ماذا تقول المدينة؟ ان مجرد التفكير بذلك مستحيل، عبث، ومع هذا كان يفكر»[٢] وعاد لأول مرة في النهار إلى بيته وسحبها من غرفتها إلى غرفته وحدّثها عن مخاوفه ولكن غابرييلا مسكته وجذبته إليها «فغطس بين نهديها وهمس نسيب (بيبي) وفي لغة الحب عنده التي كانت عربية قال لها وهو يحتضنها: من اليوم فصاعدًا أنت (بيبي) وهذا هو سريرك وهنا ستنامين، فلست طاهية بالرغم من انك تطهين. فأنت المرأة صاحبة هذا البيت، شعاع الشمس، ضوء القمر، ركن العصافير، أنت تدعين (بيبي)...»[٣]

---

(١) المصدر نفسه ص ٣١٢.
(٢) المصدر نفسه ص ٣١٤.
(٣) المصدر نفسه ص ٣١٨ ويبدو أن لفظة (بيبي) هي اللفظة العربية (حبيبي) التي لم يحسن المؤلف كاتب الرواية لفظها لفظًا سليمًا فحرفت تحت قلمه إلى (بيبي).

٤

وأصبح نسيب يلتقي بأصحابه ويعمل في الحانة ولكن دون حماسة فان أحداث المدينة المتلاحقة لم تخرجه من وهنه وهمّه.

«ففكرة الزواج من غابرييلا التي قذفها تونيكو ذات مرة بلا مبالاة أخذت طريقها. لم يَرَ حلاً آخر. فقد كان يحبها، هذا مؤكد. انه حب بدون حدود، ويحتاجها كما يحتاج الماء، الأكل السرير للنوم والحانة أيضًا لا تستطيع المضي قدمًا من دونها فكل هذا الفلاح - المال الذي يجمعه في المصرف، حقل الكاكاو الذي يقترب - سينقلب رأسًا على عقب إذا هي رحلت. فليقدم على الزواج، لم يعد يخشى ذلك. فأي أمر آخر أعظم منه بوسع امرئ أن يقدّمه له على الإطلاق»[1]

إن قبوله للزواج من غابرييلا قد أصبح واقعًا نفسيًّا ولكنه يخشى من الآخرين فكان «إنما يؤجل ذلك خوفًا مما سيقولونه، هل بوسعهم، أصدقائه أن يفهموا ذلك؟ عمه، عمته، اخته، صهره، أقاربه الأثرياء في ايتابونا، آل اشقر المتكبرين أولئك؟ وأخيرًا ماذا يهمه من ذلك؟ فأقاربه في ايتابونا ما كانوا يأبهون له وهم متمركزون بالكاكاو الذي يملكونه، وليس مدينا لعمه في شيء وليمض صهره إلى الجحيم. أمّا بالنسبة إلى الأصدقاء، زبائن حانته، شركائه في الغامون والبوكر فهل أظهروا له على سبيل المثال باستثناء تونيكو مقدارًا من الاحترام مدين به لهم؟»[2]

وفي إحدى المرات حين يسأله تونيكو إذا ما كان قد صمّم على الزواج يشير نسيب إلى صعوبة الزواج من غابرييلا فيقول لصاحبه:

«ليس لديها أوراق. لقد استقصيت ذلك. حتى ولا سجل ولادة ولا تعرف متى ولدت ولا اسم عائلة أبيها. فقد مات ذووها عندما كانت صغيرة ولا تعرف شيئًا. ان خالها من آل سيلفا لكنه كان شقيق أمها لا تعرف عمرها ولا تعرف شيئاً فماذا افعل؟»[3] فوعده تونيكو بالمساعدة وأعلن زواجه فهنأه

(١) المصدر نفسه ص ٣٦٠.
(٢) المصدر نفسه ص ٣٦٢.
(٣) المصدر نفسه ص ٢٦٣.

الأصحاب وان كان أحدهم قد اعترض أن بعض الأزهار تذبل إذا وضعها الإنسان في الأصص ولكن مع ذلك فقد فرح له كافة الأصدقاء وتجاهلت اخته وصهره امر الزواج وفي يوم العقد «أعلن القاضي انهما زوجان (نسيب أشقر سعد) في الثالثة والثلاثين، تاجر، مولود في فيراداس مسجل في ايتابونا وغابرييلا داسيلفا في الحادية والعشرين حرفتها الأعمال البيتية مولودة في ايليوس وفيها مسجلة. . . وإذ ذاك فقط عرف ان نسيب كان (مسلمًا)، اذ إنه في ايليوس قد أضاع (الله) و(محمداً) ومن دون أن يكسب (المسيح) و(يهوه) ولم يتقاعس الأب باسيليو عن المجيء ليبارك غابرييلا. . . ثم هدد نسيب (مداعبا): الأولاد انا اعمدهم شئت أم لم تشأ.

ـ اني موافق أيها السيد الأب»[1].

وتم الزواج واستمرت حياتهما في سعادة وكان نسيب دائمًا يحاول أن يغير من طبعها العامي ويرفع من ذوقها ولكنها بقيت ترى أن السيرك أو السينما هما أحسن من حضور محاضرة يتكلم فيها انسان والناس يسمعون ومن فكرة ان تكون لها خادم تخدمها ويفضي بهموم صدره إلى تونيكو ولذلك يقول له تونيكو:

ـ «دعني أرها ففي وقت قريب سأزود ابنتي بالتبني ببعض النصائح سأقول لها بأن تستخدم خادمة، فدعني ارها.

ـ ليكن ذلك، فهي تستمع إليك كثيرًا، انها تستمع اليك الى الدونا ولغا. . .»[2] ان هذا الاذن باسداء النصيحة لغابرييلا وزيارتها خلق علاقة جديدة بين الثلاثة تكشفت صدفة لنسيب حين خاصم العامل بيكوفينو وهو يسرق نقوداً من صندوق المطعم و«كان نسيب يرتاب به منذ بعض الوقت ففقد عقله وصفع الفتى عدة صفعات:

ـ لص، سارق

والغريب انه لم يفكر بصرفه من العمل اما ان يلقنه درسًا ليصلح من شأنه

---

(١) المصدر نفسه ص ٣٦٧.

(٢) المصدر نفسه ص ٤٤٩.

فهذا أجل ولكن بيكوفينو الذي قذف إلى خلف طاولة البيع بصفعة أخذ يشتمه:

ـ أنت اللص، أيها التركي الغائط، مازج المشروبات والمتلاعب بالحسابات.... فأمسك ببيكوفينو من قميصه ورفعه ثم سدّد يده إلى وجهه بقوة:

ـ كي تتعلم ألا تسرق..

تحرر بيكوفينو منه ووثب خارج طاولة البيع وهو يبكي ويشتم:

ـ لماذا لا تضرب امك؟ أو امرأتك؟

ـ اخرس والا سأضربك حقيقة.

ـ تعال واضرب

ثم هرب باتجاه الباب وزعق.

ـ تركي ديوث، ابن العاهرة لماذا لا تبني حوضا على زوجتك؟ الا تلحس قرونك وهي تؤلمك.

اقترب منه نسيب وتمكن من الامساك به:

ـ ما الذي تقوله؟

اعترى بيكوفينو خوف من هيئة العربي:

ـ لا شيء يا سيد نسيب اتركني.

ـ ما الذي تعرفه؟ قل او اهشمك بالكامل.

ـ ان شيكو موليزا هو الذي اخبرني

ـ ماذا؟

ـ انها تتعاطى مع السيد تونيكو.

ـ مع تونيكو؟ اخبرني بكل شيء وبسرعة كان يمسك به بقوة شديدة بحيث مزق له القميص.

ـ كل يوم بعد ان يخرج من هنا، يدخل السيد تونيكو إلى بيتك.

ـ انك تكذب أيها الشقي.

ـ جميع الناس يعرفون ويضحكون منك يا سيدي. اتركني يا سيد نسيب.

ترك يده عن قميصه فخرج بيكوفينو راكضًا وبقي نسيب واقفًا أعمى أصم من دون حركة، من دون تفكير، وهكذا وجده شيكو موليزا عند عودته من معمل الثلج.

ـ سيد نسيب، سيد نسيب.

كان السيد يبكي. . . .»[1]

٥

وفي اليوم الثاني فاجأ نسيب غابرييلا وتونيكو في البيت وطارد نسيب تونيكو والمسدس في يده ولكنه تركه يهرب «حافي القدمين والسترة والقميص بيده وظهره عاريًا»[2].

وناقش الأمر مع أحد أصحابه وكان نسيب يرى أن عليه أن يترك ايليوس بعد ما حدث ولكن صاحبه جوان فولجنسيو أفهمه بأن زواجه يعد باطلاً في الأساس لأن إحدى مواد القانون المدني تنص على ذلك ما دام هناك جهل بشخصية أحد المتزوجين ولما كان نسيب لا يعرف لها عائلة أو أهل فلم يكن الأمر زواجًا بل كان معاشرة عشيقة ليس غير. . .

ولكن تمكن صديق نسيب والمحامي من اقناع تونيكو كاتب العدل والقاضي بِعَدّ الزواج باطلاً بسبب تزوير في وثائق الزواج التي قبلها كاتب العدل نفسه وبذلك الغي الزواج بين نسيب وغابرييلا وسكنت غابرييلا مؤقتًا مع جارته الدونا آرميندا.

و«هكذا مع قضية ابطال الزواج التي تمت اجراءاتها بسرعة من عريضة البدء إلى صدور الحكم في وقت وجيز جدًّا وجد العربي نسيب نفسه عازبًا من جديد. لقد كان متزوجًا من غير ان يكون كذلك في الواقع. . . وهكذا عادت السيدة سعد: غابرييلا . . .»[3]

أما غابرييلا التي لم تنشأ على أية تقاليد أو قواعد سلوك ولم تدفعها إلا

---

(١) المصدر نفسه ص ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢.
(٢) المصدر نفسه ص ٤٨٣.
(٣) المصدر نفسه ص ٤٩١.

غريزتها ولا يسيرها الا حنينها إلى الرجل الجميل فهذا هو رأيها في كل ما جرى وما سببته من آلام لنسيب.

«ظلت تفكر. بوسعها الآن العودة مرة اخرى إلى السيد نسيب انها لا تريد أن تسبب له الحزن بيد انها أهانته لأنها كانت متزوجة. وأحزنته لأنها رقدت مع رجل آخر على سريرها بصفتها متزوجة. اكتشفت ذات يوم انه كان يشعر بالغيرة. رجل عظيم مثله كان خفيف الظل. سوف تغدو حريصة منذ الآن، حرصًا شديدًا لأنها لا تريد ان يتعذب. إنه أمر كثير الغباء من دون تفسير: لماذا الرجال يتعذبون كثيرًا حينما ترقد امرأة كانوا يرقدون معها، مع رجل آخر؟ انها لا تفهم ذلك. فإذا كانت للسيد نسيب رغبة بوسعه الذهاب إلى امرأة اخرى، ويرقد معها، ينام بين ذراعيها. كانت تعلم ان تونيكو ينام مع نساء اخر. الدونا آرميندا كانت تخبرها بأن لديه نساء كثيرات. لكن إذا كان النوم معه واللعب معه على السرير جيدًا فلماذا تصرّ أن يكون لها وحدها؟ انها لا تفهم ذلك.

كانت تحب أن تنام بين ذراعي رجل. ليس أي رجل وحسب بل رجل جميل مثل كليمينتي، مثل تونيكو، مثل السيد نيلو، مثل بيبينو آه! مثل نسيب إذا أرادها الشاب أيضًا، إذا تطلع إليها طالبًا منها، إذا ابتسم لها، إذا راوَدَها عن نفسها، فلماذا ترفض؟ لماذا تقول كلا؟ إذا كانوا يريدونها كل منهم؟ انها لا ترى لماذا؟ كان جيدًا النوم بين ذراعي رجل والإحساس برعشة الجسد، والفم يعض والموت في التنهد أما ان يغتاظ السيد نسيب ويظل ثائرًا طالما هو متزوج فهذا تفهمه، ثمة قانون، ولم يكن مسموحًا، فالرجل وحده من لديه الحق والمرأة ليس لها ذلك انها كانت تفهم هذا، لكن كيف تقاوم؟ فقد كانت لديها رغبة في الساعة التي فعلت فيها ذلك من دون أن تتذكر انه لم يكن مسموحاً به. . . »[1].

وكان غياب غابرييلا عن الحانة قد سبَّب إرباكًا في اعداد الأطعمة ورغم ان نسيب قد جلب طباخًا بلوك الفرنسية ويتعاظم في نفسه إلا أنه لم ينجح في

(١) المصدر نفسه ص ٤٩٤-٤٩٥.

ان يقنع الزبائن بأن ينسوا طعام غابرييلا وتقترح الدونا آرميندا بأن يعيد نسيب غابرييلا إلى الحانة تطبخ له خادمًا وأجيرة ويرحب بذلك رواد الحانة ويقرر نسيب أن يستأجرها وفي احدى الليالي عاد إلى بيته فوجد غابرييلا في غرفتها وفي بيته فوق السرير كما رآها أول مرة وبعد أن شتمها وعاتبها ضحكت له ثم ناما معا. وبذلك يختم جورج امادو قصته بقوله:

«وهنا تنتهي قصة نسيب وغابرييلا عندما بعثت شعلة الحب من جمرة راقدة بين رماد الصدر...» (١)

(١) المصدر نفسه ص ٥٥٩.

الفصل الثالث

الشخصيات الكبرى

شخصية سانتياغو ابراهيم نزار

١

قبل أن نبدأ بدراسة الأطوار التي مرّت بها شخصية سنتياغو ابراهيم نزار في الرواية في آخر يوم من حياتها ومن ساعة تهديد حياة بطل الرواية إلى لحظة تنفيذ جريمة القتل والتي رويت على لسان شهود من مستويات مختلفة فاننا نريد أن نعطي وصفًا لصورة العرب عمومًا كما أوردها ماركيز في هذه الرواية بالذات وهي بالإضافة إلى كونها صورة إضافية إلى ما قلناه قبلاً فانها صورة مساعدة لبناء الرواية ولذلك فقد اجلنا اقتباس هذه النصوص إلى هذا القسم من البحث.

فبعد أن قتل سنتياغو ابراهيم نزار كان سكان القرية يتوقعون انتقام الجالية العربية فإن طبيعة البيئة كانت تفرض عليهم ذلك وكان المتوقع أن يكون الانتقام بأحد سبيلين:

«كان خوف الشقيقين (فيكاريو) يتطابق مع حالة الناس في القرية إذ لم يستبعد أحد امكانية الانتقام من جانب (العرب) لكن لم يفكر أحد بالسم سوى الأخوين فيكاريو وقد افترض بعضهم بأنهم سينتظرون حلول الليل

ليصبوا البنزين من الكوة ويحرقوا السجينين في زنزانتهما ولكنه كان افتراضًا ضعيفًا»[١].

ولكن يبدو ان العرب قد خيبوا ظن من افترض هذين الفرضين ويعلل ماركيز ذلك بقوله الذي يكشف لنا عن ان هؤلاء الناس حين جاءوا إلى امريكا جاءوا هربًا واحتماء من الظلم والقسوة ولذلك فانهم لم يكونوا على استعداد لاستعمال القوة للدفاع عن أنفسهم. قال ماركيز:

«فقد كان (العرب) يؤلفون جالية من المهاجرين المسالمين استقروا منذ بدايات هذا القرن في قرى الكاريبي الأكثر فقرا والأكثر بعدا وبقوا فيها يبيعون قطع قماش ملونة وحلى رخيصة للمهرجانات»

ويشير بعد ذلك إلى عاداتهم وسلوكهم في بيئتهم الجديدة تلك. قال:

«كانوا متحدين عمالاً ومتصوفين، يتزاوجون فيما بينهم ويستوردون قمحهم ويربون الخراف في باحات بيوتهم ويزرعون الزعتر والباذنجان ولا يتباهون إلا بمتعة عاصفة هي لعب الورق.

وقد استمر المسنون منهم التكلم بالعربية التي حملوها معهم في بلادهم وحافظوا عليها سليمة في عائلاتهم إلى الجيل الثاني.

أما الجيل الذي تلا ذلك الجيل باستثناء (سانتياغو نزار) فكان يستمع إلى الآباء بالعربية ويرد بالاسبانية وكان يبدو اذن انه من غير الممكن أنهم سيغيرون فجأة من عاداتهم الرعوية في الثأر حيث يمكن أن يكون جميعًا لنا يد في القتل...»[٢]

وان عدم معرفة الجذور الاجتماعية التي نما فيها هؤلاء المهاجرون قد جعلت افتراض ماركيز باطلاً وان النفسية الجماعية لهؤلاء المهاجرين يصفها العمدة الذي زار هذه الجماعة مساء يوم القتل ليرى ما الذي ينوونه من فعل.

«قام الكولونيل أبونت بعد ان اقلقته الشائعات بزيارة (للعرب) عائلة

(١) وقع موت معلن ص ٨٧.
(٢) المصدر نفسه ص ٨٧.

عائلة وفي هذه المناسبة على الأقل توصل إلى نتيجة ذات قيمة.

فقد وجدهم حائرين وحزانى أمام مذابحهم التي ترتدي الحداد. وكان بعضهم يبكي بصرخات عالية وهم جالسون على الأرض ولكن أيًّا منهم لا يحمل نوايا انتقامية.

وردود الفعل التي ظهرت في الصباح برزت في حرارة الجريمة. واعلن كبارهم بأنفسهم بانهم في جميع الأحوال لا يذهبون بعيداً عن الضرب»[1].

وحين أصيب أحد القاتلين في السجن بالاسهال العنيف كانت التي وصفت الدواء لهم السيدة العربية العجوز ولذلك فان ماركيز يوضح عدم ميل العرب إلى الانتقام فيقول:

«إضافة إلى ذلك فان (سوسيمة عبدالله) الأم الكبيرة ذات المائة سنة هي التي وصفت نقيع زهرة الآلام الاعجوبة والافستنين الذي أوقف اسهال بابلو فيكاريو»[2]. وذكر ماركيز بعض عادات هذه العوائل العربية وإن كان يبدو أن الإشارة إلى العرب كانت عامة تشملهم جميعهم. قال:

«دخل (سانتياغو نزار) إلى بيت خطيبته فلورا ميغويل الكائن عند المنعطف حيث تركه لآخر مرة. وقد قال لي كريستو بيدوبا: لم يخطر ببالي أن يكون هناك لأن اولئك الناس (أي العرب جميعًا أو آل ميغويل وهم عرب أيضًا) لا يستيقظون ابدًا قبل منتصف النهار. وكانت حكاية معروفة ان العائلة كلها تنام حتى الساعة الثانية عشرة بأمر من ناهير ميغويل (فقيه الجالية العربية)...»[3]

وأشار ماركيز كذلك إلى صفة شخصية وصف بها سانتياغو نزار ربما تنطبق على سلوك المهاجرين عمومًا.

وتلك هي البحث عن المصلحة والنفعية وتذكرنا العبارة التالية بقول

(١) المصدر نفسه ص ٨٨.
(٢) المصدر نفسه ص ٨٨.
(٣) المصدر نفسه ص ١١٩..١٢٠.

لموسى السوري حين سأله الحلاق:

- «حدثني بأمر واحد أيها (التركي) إلى أي جانب تقف في نهاية الأمر؟

فرد (السوري) دون ارتباك:

- إلى جانب نفسي»[١]

ولهذا فان ماركيز يصف اختيار سانتياغو نزار فتاته التي خطبها بالنفعية وكذلك يصف زواج أبيه (ابراهيم نزار). قال:

«كان (سانتياغو نزار) وفلورا ميغويل قد اتفقا على تزويجهما لبعضهما وقبل (سانتياغو نزار) هذا الالتزام وهو في عنفوان مراهقته، وكان عازمًا على تنفيذ ذلك. ربما لأن مفهومه للزواج كان نفعيًا كأبيه»[٢]

وان هؤلاء العرب الأغنياء كغيرهم مثل كل الأغنياء في كل المجتمعات لا يشعر كل الناس نحوهم بالحب وخاصة من كان من المواطنين الاصليين من أهل البلد الذي يصل إليه هؤلاء المهاجرون. ويصف ماركيز ذلك في لمحة سريعة مرتين في الرواية. قال:

«ولم يكن الجميع يحبون (سانتياغو نزار) هكذا بلا شك. وأكد صاحب مبنى المواد الكهربائية بولو كاربو بأن رباطة جأشه ليست طبيعية وإنّما هي تمثيل واستعراض وقال لي: كنت اعتقد ان أمواله تحميه. وعلّقت زوجته فوستا لويزا: مثل كل (العرب) هنا...»[٣]

ويؤكد ذلك مرة أخرى على لسان أحد الذين سمعوا تهديد بابلو فيكاريو بقتل سانتياغو نزار وقد سأل فوستينو سانتوس القاتل مازحًا:

«لماذا كانا يريدان (أي الأخوين) قتل سانتياغو نزار على الرغم من وجود أغنياء كثيرين يستحقون الموت قبله؟»[٤]

---

(١) في ساعة نحس ص ٦٧.
(٢) وقائع موت معلن ص ١٢٠.
(٣) المصدر نفسه ص ١٠٩.
(٤) المصدر نفسه ص ٥٦-٥٧.

وبذلك نكون في هذا القسم من البحث قد وصلنا إلى تخطيط أولي لوضع المجموعة العربية ووضعها النفسي والاجتماعي في بيئة جديدة تختلف عن البيئة العربية في الأقطار التي هاجروا منها إلى العالم الجديد.

٢

من هو سانتياغو نزار؟

نشر ماركيز في الفصل الأول من روايته التي تتكون من خمسة فصول معلومات متناثرة مركزة عن هذا الشاب الذي قتله الأخوان فيكاريو لأسباب سنعرفها فيما يأتي وصل أبوه «(ابراهيم نزار) مع آخر العرب في نهاية الحروب الأهلية»[١].

كان الشاب حين قتل «قد أتم إحدى وعشرين سنة في الاسبوع الأخير من كانون الثاني. كان نحيلاً وشاحبًا. له (حاجبان عربيان) وشعر أجعد عن أبيه. كان الابن الوحيد، سليل زواج (مصلحة) لم يشهد لحظة سعادة واحدة لكنه كان يبدو سعيدًا مع أبيه إلى اليوم الذي توفي فيه فجأة قبل ثلاث سنوات وبقي يشبهه وهو مع امه حتى يوم الإثنين الذي مات فيه. لقد ورث فطرتها، وتعلم من أبيه ومنذ نعومة الطفولة استخدام الأسلحة النارية، وحب الخيول، وترويض الطيور الجارحة، لكنه تعلم من أبيه أيضًا فنونًا من الشجاعة والحصافة. كانا يتكلمان فيما بينهما بـ(اللغة العربية) لكنهما لا يفعلان ذلك أمام بلاسيدا لينيرو لكي لا تشعر بأنها مستبعدة»[٢].

اضطر الشاب إلى ترك المدرسة لرعاية المزرعة وكان قد اعتاد على الذهاب إلى هناك أيام الاثنين[٣].

وحين يذهب إلى المزرعة كان يرتدي «ملابسه الكاكية وجزمتي ركوب الخيل التي اعتاد الذهاب بهما في أيام الإثنين إلى مزرعة (الديفينو روسترو)

(١) المصدر نفسه ص ١١.
(٢) المصدر نفسه ص ٩.
(٣) المصدر نفسه ص ٨ و ص ٦.

المزرعة التي ورثها عن أبيه والتي كان يديرها بحكمة بالغة ولو لم يحصل على نتائج كبيرة. وفي أثناء جولاته كان يحمل في حزامه مسدسًا... (و) كان يأخذ معه أيضًا صقوره المدربة»[١].

وله عدد من البنادق وكان له بعض العادات في التعامل مع السلاح الذي يملكه.

«كان ينام كما ينام أبوه، يخبئ السلاح في وجه الوسادة ولكن قبل أن يغادر البيت في ذلك اليوم انتزع الطلقات من الملقم ووضع المسدس في درج طاولة الليل.

قالت لي أمه:

«لا يتركه محشوًا أبدًا» وكنت أعرفه، وأعرف أيضًا أنه يضع السلاح في مكان ويخبئ الذخائر في مكان آخر منفصلين تمامًا لكي لا يستسلم أحد حتى ولو كان ذلك مصادفة إلى وسوسة حشو الأسلحة في البيت. لقد كانت عادة حكيمة فرضها أبوه....»[٢]

لم يكن لسانتياغو نزار علاقات معروفة مع النساء، فالمرأة الأولى التي تعرف عليها كانت ماريا اليكساندرينا سيرفانتس وكانت امرأة أنيقة وكانت تعيش في بيت يرتاده الرجال وهي التي علمت جيل سانتياغو نزار معرفة المرأة.

«لقد فقد سانتياغو نزار رشده منذ رآها لأول وهلة. فحذرته... لكنه لم يصغ إلي إذ إنه فقد رشده بدعوات ماريا اليكساندرينا سيرفانتس الوهمية. لقد كانت عاطفته الحائرة ومعلمته لدموع المراهقة وهو في الخامسة عشرة من عمره إلى اليوم الذي انتزعه (ابراهيم نزار) من سريره بضربة حزام وحبسه لأكثر من سنة في مزرعة الديفينو روسترو ولقد بقيا مرتبطين بمحبة عميقة لكن دون فوضى الحب واختلاطه وكانت تحترمه كثيرًا..:»[٣]

---

(١) المصدر نفسه ص ٦-٧.
(٢) المصدر نفسه ص ٧.
(٣) المصدر نفسه ص ٧٠-٧١.

أما المرأة الأخرى التي كان يعرفها سانتياغو نزار فهي خطيبته فلورا ميغويل وقد صمم على الزواج منها وهي من بنات مواطنيه الذين هاجروا إلى المهجر كما هاجر أبوه ويصف ماركيز العلاقة بينه وبين خطيبته التي كانت سوف تستحيل إلى زواج كما يأتي:

«لقد كانت علاقتهما كخطيبين بلا تكلف، بلا زيارات ولا اضطرابات قلبية وقد حدد زفافهما الذي أجل عدة مرات موعده أخيرًا في عيد الميلاد القادم. استيقظت فلورا ميغويل في يوم الاثنين ذاك مع أول نداءات مركب الأسقف وقد علمت بعد قليل أن التوأمين فيكاريو ينتظران سانتياغو نزار لقتله وقد قالت لشقيقتي الراهبة وهي الوحيدة التي سنحت لها الفرصة أن تتحدّث إليها بعد المصيبة بأنها لا تعرف من الذي أخبرها وقالت: «ان ما أعرفه فقط هو أن الجميع كانوا على علم بالخبر في الساعة السادسة صباحًا» وبدا لها من غير المعقول أن يستطيع أحد قتل سانتياغو نزار. . .»[1] وشعرت فلورا بالغيرة والحنق وقد زاد هذين الظن الكاذب اذ «خطر لها انهما سيزوجانه بالقوة من انجيلا فيكاريو لينقذا شرفها»[2].

وبسبب هذا اعتادتها عواطف الأنثى المقهورة المغلوبة في منافسة غير متكافئة فقد «شعرت بنوبة ذل في داخلها، وبينما كان نصف سكان القرية ينتظرون الأسقف، قبعت في غرفتها تبكي غيظًا، وترتب في صندوقها الرسائل التي بعث بها سانتياغو نزار منذ أيام المدرسة[3]».

ويوضح ماركيز علاقة الصداقة التي تقوم بينه وبين فلورا وعائلتها وزيارته لهما وبعض عاداته الشخصية في هذه العلاقة. قال:

«لقد اعتاد (سانتياغو نزار) كلما مرّ ببيت فلورا ميغويل حتى ولو كان البيت فارغًا يحك بمفاتيحه على الشبكة المعدنية للنافذة وفي يوم الإثنين ذاك كانت تنتظره وهي تضع حزمة الرسائل في حضنها. ولم يكن باستطاعة (سانتياغو نزار) رؤيتها من الشارع. أما هي، فعلى العكس فقد رأته يقترب من

---

(١) المصدر نفسه ص ١٢١.
(٢) المصدر نفسه ص ١٢١.
(٣) المصدر نفسه ص ١٢١.

خلال الشبكة المعدنية وقبل أن يحكها بمفاتيحه قالت له: ادخل![1]».

دخل إلى البيت في الساعة السادسة وخمس وأربعين دقيقة و«استقبلته فلورا ميغويل وهي تنتظره في الصالة وقد امتقع لونها غضبًا وهي ترتدي ثوبًا من الثياب التي اعتادت لبسها للمناسبات الكبيرة ووضعت حزمة الرسائل بين يديه وقالت له: خذ كل هذه وعسى أن يقتلاك!»[2]

ودق سانتياغو نزار على الباب الذي أغلقته من الداخل وصاح عليها بصوت مزعج أيقظ كل العائلة النائمة وكان آخر من استيقظ الأب ناهير ميغويل «بلحيته الحمراء وردائه (البدوي) الذي أحضره من بلده الأصلي الذي كان يرتديه في بيته، لقد رأيته كثيرًا، كان ضخمًا ورصينًا وكثيرًا ما أثاره عندي هو وهج سلطته. ناداها بلغته:

ـ فلورا افتحي...[3]»

هذا هو كل ما تعكسه الرواية من علاقة بين سانتياغو نزار وبين المرأة عمومًا ولم يتضح خلال الرواية أبدًا إذا ما كان هو الذي اعتدى على أنجيلا فيكاريو ولم يثبت في شهادة الشهود على أنه كان على صلة بها كما لم يظهر على سلوكه في حفلة العرس في ليلة الإثنين أي إحساس بالاضطراب والخوف.

وكان الشخص الوحيد الذي اتهمه هي أنجيلا نفسها وقد أظهرت اعترافها بالتهمة له ثلاث مرات مرة ليلة القتل بعد أن أعادها زوجها إلى أهلها وقال لها أخوها وهو يرفعها من خصريها ويضعها على الطاولة وهو يرتجف من الانفعال:

ـ «عندئذ؟ من؟ أخبرينا...

قالت:

ـ سانتياغو نزار»[4]

---

(١) المصدر نفسه ص ١٢١-١٢٢.
(٢) المصدر نفسه ص ١٢٢.
(٣) المصدر نفسه ص ١٢٣.
(٤) المصدر نفسه ص ٥١.

وأكدت ذلك حين سألها قاضي التحقيق عن سانتياغو نزار إذا كانت تعرفه أم لا قالت: «هو الذي فعل ذلك»[١] وقالت مثل ذلك لابن خالتها الذي كان أحد رواة الرواية:

ـ «يا ابن خالتي، لا تبحث عن المصاعب حيث لا توجد، لقد كان هو»[٢].

٣

وحيث إن الشخصية الأساس في الرواية هي شخصية عربية فعلينا أن نقوم بتلخيص أحداث الفصول الخمسة التي جمع فيها الكاتب رواية كل من كان طرفًا في رؤية مشهد القتل أو السماع به.

ففي الفصل الأول كانت الراوية الأولى هي أمه حيث انتبهت من نومها وهو يعود مبكرًا من حفلة عرس أنجيلا مارًّا بها يبحث عن قرص أسبرين[٣].

تتذكره في ذلك اليوم الذي قتل فيه وهو يلبس ملابس مغسولة غير منشاة لأن بشرة جلده لا تحتمل مضايقة احتكاك النشا بها[٤].

وحين رأته أمه في ملابسه البيضاء في يوم الإثنين الذي قتل فيه وكان اليوم الذي يذهب فيه إلى المزرعة ببدلة الكاكي قالت له: «لكن هذا اليوم هو الإثنين» وحين أخبرها أن السبب زيارة الأسقف المتوقعة حيث سيمر مركبه بالقرية فأخبرته بأنها تظن بأنه «لن ينزل من المركب رئيسه وسيبارككم على عجل كالعادة ثم يمضي من حيث أتى إنه يمقت هذه القرية»

واحتج ابنها حين حذرته من أن يبلله المطر حتى ولو كان بسبب زيارة الأسقف فقال لها: «لا تكوني همجية هكذا! تصوري قليلاً! لو كان ذلك يخص كائنًا بشريًا»[٥]

---

(١) المصدر نفسه ص ١٠٧.
(٢) المصدر نفسه ص ٩٧.
(٣) المصدر نفسه ص ٨.
(٤) المصدر نفسه ص ٩.
(٥) المصدر نفسه ص ١٠.

تعجبت فكتوريا غوزمان خادمة العائلة لمدة عشرين عامًا كيف أن هذا الإنسان الذي يقتل الحيوانات العزلاء يمكن أن يرعبه الإيمان الديني بسبب قدوم الأسقف وأرادت بباعث من غضب أو كراهية أن تغيظ سانتياغو نزاز فكانت في يوم الإثنين ذاك تطعم الكلاب أحشاء الأرنبين لكي تنغص على سانتياغو نزار فطوره.

قالت فكتوريا غوزمان وقت التحقيق بوقوع الجريمة بأنها لم تكن تعرف شيئًا عن القتل ولكن بعد مرور السنين أقرّت بأنها وابنتها «كانتا لا تعلمان شيئًا عمّا كان يجري عندما دخل إلى المطبخ ليتناول قهوته. لقد علمنا من خلال امرأة مرت بهما تلتمس قليلاً من الحليب بعد الساعة الخامسة»[١] وقد أخبرتهما بسبب دافع القتل ومكان القاتلين. وأقرّت ابنة الخادم ديفينا فلوريا بعد موت أمها بأن أمها لم تقل لسانتياغو نزار شيئًا لأنها كانت تتمنى موته وأنها نفسها لم تحذره لأنه أخافها حين تحرش بها في إحدى المرات[٢] وقالت أنها تركت مزلاج الباب في مكانه ولم تغلق الباب كي تسهل أمر دخوله إذا ما هدد بالقتل ولم تر الورقة التي دسها مجهول تحت الباب يحذره فيها من القتل وسببه إلاّ بعد وقوع الجريمة[٣].

كانت الساعة السادسة صباحًا والليل ما زال مظلمًا وكان المحل الوحيد المفتوح في القرية في ذلك الوقت وكان يبيع الحليب وكان الدكان يستحيل إلى حانة في النهار إلى آخر الليل ويشتغل به زوج أرمينتا، وفي وقت بيع الحليب تدير كلوتيدا أرمينتا المحل وترعى زبائنها ولم يكن في ذلك المحل غير بيدرو فيكاريو وبابلو فيكاريو اللذين أخبرا كلوتيدا أرمينتا بأنهما سيقتلان سانتياغو نزار[٤].

وكان بيدرو وبابلو فيكاريو توأمين وعمرهما أربع وعشرون سنة وهما متشابهان جدًا وكانا في صباح القتل يرتديان ملابس حفلة عرس أختهما

---

(١) المصدر نفسه ص ١٣.
(٢) المصدر نفسه ص ١٤.
(٣) المصدر نفسه ص ١٥.
(٤) المصدر نفسه ص ١٦.

السميكة السوداء وكانا قد بدآ يتناولان الخمرة منذ اليوم الذي سبق الحفلة حتى صباح يوم القتل[١].

وحاولت كلوتيدا أرمينتا أن توقفهما وأرسلت خبرًا مع المرأة التي تستجدي الحليب فأخبرت خادم عائلة سانتياغو نزار ولكنها لم تخبر والدته بالخبر لأنها كانت تتمنى موته[٢]. وشعرت كلوتيدا أرمينتا بالحرج في حدوث جريمة وقت زيارة الأسقف وحين لم يقف الأسقف في القرية شعر سانتياغو نزار بالإحراج لأنه كان قد تبرّع بالحطب والديوك، وحين مرّ سانتياغو نزار راجعًا من الميناء ورأته (مارغوت) أخت الراوية غبطت فلورا ميغويل على حظها بالحصول على خطيب غني وشاب ووسيم ودعته إلى مشاركة عائلتها الفطور وكانت معتادة على ذلك وحين سألها عن الوقت وأخبرته بأن الساعة الخامسة وخمسًا وعشرين دقيقة. قال: سأكون في بيتكم خلال ربع ساعة[٣].

وانصرف مع كريستو بيدويا لإبدال ملابسه لتناول الإفطار مع عائلة الراوية حتى ظن كريستو بعد القتل أنها كانت تعرف بأنه سيقتل وأرادت أن تخبئه في بيتها وعرف كذلك دون لازارو أبونت كلونيل الأكاديمية العسكرية والمتقاعد وعمدة القرية منذ أحد عشر عامًا وكذلك الأب أمادور إلاّ أنهما ظنا أن الأخوين يشيعان ذلك بسبب سكرهما[٤] والذي ظهر للراوي أن أخته وأمه العليمة بكل أخبار القرية لم يصلهما خبر نيّة الأخوين فيكاريو على قتله. وحين خرجت مارغوت في الصباح المبكر لانتظار الأسقف عرفت أن «أنجيلا فيكاريو التي تزوجت في اليوم السابق أعيدت إلى بيت والديها من قبل زوجها الذي اكتشف بأنها ليست عذراء قالت مارغوت: (أحسست بأني أنا التي ستموت ولكن لو قلب الأمر مرات ومرات وفي كل الوجوه لم يستطع أحد أن يفسر لي كيف أن هذا المسكين سانتياغو نزار قد انتهى متورطًا في مثل

---

(١) المصدر نفسه ص ١٦-١٧.
(٢) المصدر نفسه ص ١٨-١٩.
(٣) المصدر نفسه ص ٢٠-٢١.
(٤) المصدر نفسه ص ٢١-٢٢.

هذه الخديعة) والشيء الوحيد الذي كان مؤكدًا هو أن شقيقيْ أنجيلا فيكاريو كانا ينتظرانه لقتله. . .»[1]

رجعت مارغوت يغلبها البكاء وكانت أمها أعدت مفارش المائدة فأمرتها ابنتها برفع المفرش لأنه سيقتل وكانت والدة مارغوت عرّابة سانتياغو نزار فاستعدت للذهاب إلى بيته لإخبار أمه وحاول زوجها أن يثنيها عن عزمها للعلاقات الكثيرة التي لهذه العائلة مع آل فيكاريو. فردت عليه:

ـ «يجب أن تكون إلى جانب الميت[2]»

وحثت خطاها إلى بيت سانتياغو نزار إلاّ أن رجلاً مرّ بها راكضًا في الاتجاه الآخر قال لها:

ـ «لا تزعجي نفسك يا لويزا سانتياغو، لقد قتلاه»[3]

وينتهي ماركيز من رواية الفصل الأول الذي جعله على لسان الراوية نفسه الذي كان يعرف سانتياغو نزار لأنه كان صديق العائلة كما أنه كان ابنًا بالعماد لوالدة الراوية لويزا سانتياغو المرأة التي حاولت انقاذ ابنها بالعماد من المصير الذي ينتظره.

وأن مقام سانتياغو نزار في نفس مارغوت أخت الراوية جعلها تعتقد بأن أحدًا ما حاول أن يوقع هذا الشاب في ورطة فقد كان بالنسبة لها ملاكًا لا يمكن أن يرتكب الخطأ وبعد ذلك ينتقل ماركيز إلى رواية أخرى على لسان أحد الشهود وهنا يبدأ الفصل الثاني من الرواية.

٤

وفي الفصل الثاني من الرواية يقدم لنا ماركيز شخصيات ثانوية ذات أثر مباشر في الأحداث التي أدت إلى قتل سانتياغو نزار. ولعل أهم هذه الشخصيات شخصية بيادرو سان رومان الذي تزوج أنجيلا فيكاريو لليلة واحدة فقط وهي ليلة قتل سانتياغو نزار.

---

(١) المصدر نفسه ص ٢٣-٢٤.
(٢) المصدر نفسه ص ٢٥.
(٣) المصدر نفسه ص ٢٦.

يقول ماركيز عنه:

«كان بيادرو سان رومان الرجل الذي طلق زوجته قد قدم إلى القرية لأول مرة في شهر آب من السنة السابقة وقبل الزفاف بستة أشهر. لقد غادر المركب الأسبوعي وهو يحمل على كتفه خروجًا ذات زخارف فضيّة متجانسة مع حلقات حزامه وحذائه. كان عمره حوالي ثلاثين سنة»[1]

وحين رأته ماجدلينا أليفيه وكانت مسافرة على نفس المركب ظنته مخنثًا ولكنه كان يغري «أن يطلى بالزبد ليؤكل حيًّا» ولم تستطع أن ترفع نظرها عنه»[2].

ويقول الراوية أن والدته كتبت له عنه حين قدم إلى القرية «قدم إلى هنا رجل غريب الأطوار»[3] وإن كانت لم تره بعد وحين سئل عن سبب قدومه إلى القرية قال: «إنني أنتقل من قرية إلى قرية بحثًا عن امرأة أتزوجها»[4].

وشاعت حوله شائعات وظن أنه مهندس في السكك وقيل إنه ثري جدًّا ثم كتبت الوالدة إلى الراوية بأن الناس يحبونه كثيرًا ويبدو أنه كان متدينًا ثم عرفت عنه رغبته بالزواج من أنجيلا فيكاريو.

وحين التقى به الراوية رأى فيه شيئًا يختلف عمّا كتبته ماجدلينا أليفيه الخيالية وكان قد رأى أنجيلا تمر وهو يجلس في الفندق فسأل صاحبة الفندق عن اسمها وأعجبه الإسم ثم قال لها: «عندما استيقظ ذكريني لأنني سأتزوجها»[5]

وكان اللقاء بينهما قد تمّ في احتفالات تشرين الوطنية وكانت أنجيلا تقف قرب الحاكي المعروض للمزايدة ببطاقات في السوق الخيري وحين سأل عن ثمنه قالت إنه معروض للمزايدة وقالت أنجيلا بدا لي متكبرًا وبخيلاً وظننت أنه بولوني[6].

---

(١) المصدر نفسه ص ٢٧.
(٢) المصدر نفسه ص ٢٧.
(٣) المصدر نفسه ص ٢٧.
(٤) المصدر نفسه ص ٢٨.
(٥) المصدر نفسه ص ٣٠.
(٦) المصدر نفسه ص ٣١.

واشترى كل بطاقات اليانصيب وربح الحاكي وحين رجعت إلى البيت وكان اليوم عيد ميلادها ووجدت أن الحاكي قد حمل إليها هدية فأعاده اخواها لأنه لم يكن هناك من سبب لقبول هدية من شخص غريب.

أما أنجيلا فيكاريو فكانت الابنة الصغرى لعائلتها الفقيرة فوالدها بونسو فيكاريو كان صائغًا ووالدتها بوريزيما ديل كارمن كانت مدرّسة وقالت عنها مرسيدس أن صرامة طبعها الهادئ المكروب كان يعكس كراهية[1]. وتزوجت ابنتاها وقد أنجبت إضافة للتوأمين ابنة ماتت بالحمى القرمزية ثم ولدت أنجيلا وانخرط التوأمان في مهنة القصابة وكانت والدة الراوية لا ترضى عن بنات فيكاريو لشيء واحد وهو عادة تسريح الشعر ليلاً وكانت تقول لهن:

«يا آنسات لا تسرحن شعركن في الليل فهذا يؤخر عودة البحّارة[2]. . . وما عدا ذاك فانها كانت تقول: «إنهن كاملات وسيسعدن أي رجل كان لأنهن تربين ليتعلمن الألم»[3].

ويذكر الراوية كذلك أنجيلا فيكاريو ويقرر أنها أكثر اخوانها جمالاً وأن أمه كانت «تردد بانها ولدت كملكات التاريخ العظيمات يحيط بعنقها الحبل السري»[4] ولكن كان يخذلها فقران: فقر في الروح وفقر في المظهر.

وحين كان سانتياغو نزار يلتقيها مع الراوية الذي هو ابن خالتها من بعيد يقول له: «ها هي ابنة خالتك البليدة الهزيلة والنحيفة»[5].

ولم يصدق أحد في عائلة فيكاريو أمر الزواج إلاّ أن أختها بورا فيكاريو سألت الخاطب أن يبرز هويته لأنه لم يكن معروفًا معرفة صحيحة في القرية ولأن هناك من يتقول عليه بأنه مغامر عسكري دمر كاسانار مع جنوده أو أنه هارب من كايين أو أنه مروّض دببة يجمع المال بعرضها على الناس[6].

---

(١) المصدر نفسه ص ٣٢-٣٣.
(٢) المصدر نفسه ص ٣٣.
(٣) المصدر نفسه ص ٣٣-٣٤.
(٤) المصدر نفسه ص ٣٤.
(٥) المصدر نفسه ٣٤.
(٦) المصدر نفسه ص ٥٠.

وردًا على كل ذلك فإنه أحضر عائلته وقد جاءت في سيارة فورد وكانت عائلته تتكون من الأب والأخ وأختين وكان والده كما ظهر الجنرال بيترونيو سان رومان بطل الحروب الأهلية والذي ساعد الكولونيل أوريليانو بويندا في حصار توكورينكا على الهرب[١] وبذلك عرف الجميع مقامه ولكن أنجيلا فيكاريو لم تكن متحمسة للزواج منه واستمرت خطوبتها أربعة أشهر حتى تخرج عائلتها من الحداد على ابنتهم التي توفيت بالحمى[٢].

واشترى بيادرو سان رومان لخطيبته بيت الأرمل ايكسيوس الريفي بعد أن سأل أنجيلا فيكاريو عن البيت الذي يعجبها رغم أنها لمّحت لأهلها أن الزواج بدون حب لا يفلح ولكن والدتها نقضت قول ابنتها بملاحظتها بأن «الحب أيضًا يمكن تعلمه»[٣].

لم يتصور أحد بأن أنجيلا فيكاريو قد عرفت رجلاً قبل الزواج فقد ربيت تربية صارمة مع أختيها تحت رقابة الأم وكان من شدتها أنها لم تسمح لابنتها بالخروج مع خطيبها لزيارة بيت الزوجية وهو يعدّ لهما[٤].

ولم تتمكن أنجيلا أن تخبر أمها بما حدث لها واستشارت الفتاتين اللتين تثق بهما وبما بينها وبينهما من روابط الصداقة ونصحتاها بما يجب أن تقوم به ليلة العرس لتجنب الفضيحة ولكنها لم تفعل شيئًا.

وكانت حفلة الزواج التي شارك بها كل شباب القرية بما فيهم سانتياغو نزار قد احتفل فيها كل سكانها فأكلوا وشربوا[٥]. ولم يلحظ أحد أي اضطراب أو حرج في سلوك سانتياغو نزار فقد «كان سانتياغو نزار يحب الحفلات وقد ابتهج بهجته الكبرى في اليوم الذي سبق موته وهو يحسب مصاريف الزفاف. لقد قدر ونحن في الكنيسة بأن قيمة زهور الزينة تساوي ما يوضع في أربع عشرة جنازة من الدرجة الأولى»[٦].

---

(١) المصدر نفسه ص ٣٦

(٢) المصدر نفسه ص ٣٧.

(٣) المصدر نفسه ص ٣٧ و ٣٨.

(٤) المصدر نفسه ص ٤٠.

(٥) المصدر نفسه ص ٤٠-٤٢.

(٦) المصدر نفسه ص ٤٥.

وحين التقى سانتياغو نزار مع العريس وعروسه أخبره «بأن حفلة الزفاف قد كلّفت حتى هذه اللحظة التي يتكلم بها تسعة آلاف بيزو وبدا واضحًا أن الزوجة قد أدركت ذلك على أنه وقاحة، إذ قالت لي فيما بعد: لقد علّمتني أمي ألا أتحدّث عن النقود أمام الآخرين.

ولقد كان بيادرو سان رومان على العكس منها فقد أخذ الأمر بأريحية بل وببعض التبجح فقال: تقريبًا، ولكن لم يكن هذا سوى البداية ففي النهاية سيتضاعف المبلغ تقريبًا»[1]

ويتذكّر الراوية عدة أحداث طريفة منها رقص شقيقته الراهبة في الحفل ومنظر ملابسها الغريبة وقبعة والد العروس وأوسمته الكثيرة وتذكر كذلك وهو نصف واعٍ الزواج من مرسيدس بارشا وكانت قد أتمّت الدراسة المتوسطة في حينه[2]، ولعلّ أهم تلك الذكريات هي «صورة العجوز بوتيسيو فيكاريو وهو يجلس وحيدًا على كرسيه الذي بلا مسند في وسط الفناء لقد وضعوه هناك وهم ربما يظنون بأنه يتصدر المجلس وكان المدعوون يصطدمون به ويخطئون من هو ويغيرون مكانه ذات اليمين وذات الشمال حتى لا يعرقل الحركة»[3] وبعد أن شارك الزوج الشباب في حلقة الكومبيامبا وطلب منهم الرقص من أجله حتى الظمأ تفرق الراقصون حوالي منتصف الليل ولم يبق من معالم القرية غير دكان كلوتيلدا ارمينتا المفتوح ثم اتجه أصحاب سانتياغو نزار والشاب نفسه إلى بيت المتعة الذي تديره ماريا اليكساندرينا سرفانتس ومرّ من أمام الباب كثيرون ومنهم كان الأخوان فيكاريو اللذان شاركا سانتياغو نزار شربه وغناءه «قبل أن يقتلاه بخمس ساعات»[4]

وينقل الراوية رواية بورا فيكاريو إلى أمه وبأنها أخبرتها بأنها نامت في الساعة الحادية عشرة ليلاً بعد أن رتّبت مع ابنتيها الكبيرتين ما تركته الحفلة من فوضى.

---

(١) المصدر نفسه ص ٤٦.
(٢) المصدر نفسه ص ٤٧.
(٣) المصدر نفسه ص ٤٨.
(٤) المصدر نفسه ص ٤٩.

وبعد ان نامت استيقظت على صوت قرع الباب ففتحته دون أن تضيء الضوء فرأت الأم بيادرو سان رومان في ضوء مصباح الشارع وكان يبدو كأنه شبح بأزرار ثوبه المحلول وكانت انجيلا في الظلمة ولم تلمحها الأم إلاّ بعد أن أخذها الزوج من يدها «وجرّها إلى الضوء الساطع. كان ثوبها الساتاني ممزقًا وكانت ملفوفة حتى الخصر بالمنشفة»[1] فظنتهما الأم شبحان إذ ربما قد سقطت بهما السيارة في الوادي، ولكن الزوج «دفع زوجته برفق إلى داخل البيت»[2]

ولم تخبر بورا فيكاريو أم الراوية بما فعلت بعد ذلك ولكن انجيلا أخبرت الراوية عما فعلت بها أمها:

«أمسكتني من شعري بإحدى يديها وضربتني بالأخرى بغضب شديد حتى ظننت بأنها ستقتلني»[3]. ومع ذلك كانت صامتة بحيث لم يستيقظ الزوج ولا الأولاد.

وعاد التوأمان في الساعة الثالثة إلى البيت بعد أن طلبت الأم حضورهما لأمر مستعجل جدًّا فوجدا اختهما في البيت وقد نامت على الأريكة في غرفة الطعام وأخبرت انجيلا الراوية:

«لم أكن خائفة، بل على العكس، لقد شعرت بأنني تخلصت من عمل مرهق يؤدي إلى الموت وما كنت اريده هو أن ينتهي كل شيء بسرعة لاضطجع وأنام»[4].

وهنا رفعها بيدرو فيكاريو من خاصرتيها ثم أجلسها على منضدة الطعام ثم قال لها:

ـ «عندئذ؟ من؟ أخبرينا!

تردّدت في ذكر الاسم، بحثت عنه في الظلمة فوجدته من النظرة الأولى

---

(١) المصدر نفسه ص ٥٠.
(٢) المصدر نفسه ص ٥٠.
(٣) المصدر نفسه ص ٥٠-٥١.
(٤) المصدر نفسه ص ٥١.

بين كل هذه الأسماء المختلفة في هذا العالم وفي العالم الآخر وألصقته على الجدار ببراعتها المحكمة مثل فراشة مكتوب مصيرها منذ الأزل. قالت:
ـ سانتياغو نزار...»[1]

وحين قالت ذلك انجيلا فيكاريو أصبح سنتياغو نزار مدينًا ومطلوبًا للقتل ومعرضًا لهجوم الأخوين فيكاريو.

٥

دافع المحامي عن قضية الأخوين فيكاريو بأنها دفاع عن الشرف وكان هذا رأي المحلفين وتمسكا بهذه الدعوى منذ أن قتلاه ولجآ إلى الكنيسة بعد أن طاردهما جماعة من العرب الذين هاجوا لمقتل سانتياغو نزار.

وقال بيدرو فيكاريو للقس في الكنيسة:
ـ «لقد قتلناه ونحن بكامل وعينا ولكننا بريئان.

فقال الأب امادور:
ـ ربما أمام الله.

فأجاب بابلو فيكاريو:
ـ أمام الله وأمام الناس، إنها تعني مسألة شرف...»[2]

ومع ذلك فقد بقيا ثلاث سنوات في الحجز وفي سجن ريوهاشا لانتظار المحاكمة لأنهما لا يملكان نقود الكفالة وكانا في اعلانهما عن رغبة قتله أمام عدد كبير من الناس إنّما كانا يهدفان إلى أن يجدا من يمنعهما من ارتكاب جريمة القتل[3].

وذكرا بعد سنين من القتل أنهما بحثا عنه أول ما بحثا في بيت ماريا اليكساندرينا سيرفانتس وكانا معه في تلك الليلة حتى الثانية صباحًا ولم يجداه

(١) المصدر نفسه ص ٥١.
(٢) المصدر نفسه ص ٥٢.
(٣) المصدر نفسه ص ٥٣.

لأنه خرج مع صحبه ليقوم بجولة[١].

وذهبا بعد ذلك لانتظاره في دكان (كلوتيلدا ارميتا) لأنه كان المحل الوحيد المفتوح في تلك الساعات المبكرة ولأن أغلب سكان القرية يمرون من هناك[٢].

وقد أخذا سكاكينهما بعد أن ذكرت اختهما اسم سانتياغو نزار و«في الساعة الثالثة وعشرين دقيقة رآهما صديقهما الجزار (فوستينو سانتوس) يدخلان عندما انتهى لتوه من فتح طاولة الأحشاء ولم يفهم سببًا لمجيئهما في يوم الإثنين وفي وقت مبكر كهذا وهما ما يزالان يرتديان بدلات حفلة العرس الداكنة. لقد اعتاد على رؤيتهما يوم الجمعة في وقت متأخر قليلاً وهما متحزمان بمئزريهما الجلديين استعدادًا لذبح الخنازير. قال لي (فوستينو سانتوس): كنت أظن أنهما مخموران حتى أنهما لم يخطئا بالوقت فقط وإنما باليوم أيضًا. وذكرهما بأن اليوم هو يوم الاثنين.

فأجابه بابلو فيكاريو بأسلوب مهذب: نعرف لقد جئنا لشحذ السكاكين فقط...»[٣] وبعد ان شحذا السكينين قال بابلو:

ـ «سنقتل سانتياغو نزار...»[٤]

ولقد كان (فوستينو سانتوس) الوحيد الذي أدرك ان التهديد لم يكن وهم سكارى فقال للأخوين مازحًا:

ـ «لماذا كانا يريدان قتل سانتياغو نزار على الرغم من وجود (أغنياء) كثيرين يستحقون الموت قبله.

فأجابه بيدرو فيكاريو:

ـ سانتياغو نزار يعرف السبب...»[٥]

---

(١) المصدر نفسه ص ٥٣.
(٢) المصدر نفسه ص ٥٤.
(٣) المصدر نفسه ص ٥٥
(٤) المصدر نفسه ص ٥٦.
(٥) المصدر نفسه ص ٥٧.

كان دكان ارمينتا يتحوّل إلى حانة منذ السادسة مساء إلى الساعة الثالثة والنصف ثم يغادر الزوج (روجيليو دي لافلورا) الحانة ويتحول المكان إلى مطعم لبيع الحليب وتحل محله في الدكان زوجته (كلوتيدا ارمينتا) ولكن في ليلة الزفاف تلك بقيت الحانة مفتوحة إلى ما بعد الساعة الثالثة والنصف لوجود عدد من الزبائن يرغب بالشرب بعد أن خرجوا من حفلة العرس.

وعند الساعة الرابعة وعشر دقائق ورغم أن المحل لا يقدِّم إلاّ المأكولات في مثل هذه الساعة فقد باعت كلوتيدا زجاجة رم للأخوين فيكاريو[1] ولأنها أرادت أن تعبر عن شكرها لقطعة الحلوى التي أرسلاها من كعكة العرس ونزعا سترتيهما على ظهر الكرسي وطلبا زجاجة رم أخرى.

«كان قميصاهما متسخين بالعرق الجاف وذقناهما اللذان لم يحلقا منذ اليوم السابق يجعلان من مظهرهما فظا. شربا الزجاجة الثانية ببطء وهما جالسان يتطلعان نحو بيت (بلاسيدا لينيروا) حيث كانت نوافذه مطفأة الأنوار»[2].

وسأل بيدرو فيكاريو السيدة كلوتيدا ارمينتا إذا ما كانت قد رأت الضوء في غرفة سانتياغو نزار فقالت:

ـ «هل حدث شيء

فرد عليها بيدرو فيكاريو:

ـ لا شيء فقط اننا نبحث عنه لقتله

لقد كان جوابًا عفويًّا حتى ظنته مزحة ليس إلاّ ولكنها لاحظت أن التوأمين كانا يحملان سكيني ذبح ملفوفتين بخرق المطبخ فسألت:

ـ وهل أستطيع أن أعرف لماذا تريدان قتله في ساعة مبكرة كهذه؟

فأجاب بيدرو فيكاريو: هو يعرف السبب»[3]

---

(١) المصدر نفسه ص ٥٧-٥٨.
(٢) المصدر نفسه ص ٥٨.
(٣) المصدر نفسه ص ٥٩.

ركضت كلوتيدا لتوقظ زوجها وأخبرته بالخبر فقال لها:

- لا تكوني بليدة، هذا الطراز لا يقتل أحدًا وخصوصًا إذا كان رجلاً ميسورًا»[1]. وحين أخبر الشرطي الذي جاء لأخذ الحليب للكولونيل لازارو عمدة القرية، العمدة بنية الأخوين فيكاريو لم يتعجل وحين روت له زوجته بأن زوج انجيلا قد أعادها إلى أبويها، هنا أدرك الكولونيل ارتباط الخبرين ببعضهما وذهب في الحال إلى دكان كلوتيدا ارمينتا ووجد الأخوين فأخذ منهما السكينين ثم صرفهما بلطف قائلاً: «تصورا ما الذي سيقوله الأسقف إذا رآكما على هذه الحال»[2].

وحين لم يحجزهما شعرت كلوتيدا ارمينتا بخيبة أمل إلا أنه عرض السكينين دليل منعهما من القتل وقال لها:

«لم يعد لديهما ما يقتلان به»[3].

وكانت ارمينتا تعتقد ان حجزهما يمنعهما من تأدية الواجب المفروض عليهما وبذلك يتخلصان من ارتكاب الجريمة أما العمدة فكان يرى أن حجزهما لمجرد الشكوك أمر غير جائز ومع ذلك فانه رأى أن تحذير سانتياغو نزار أمر ضروري.

لقد أخبر الأخوان فيكاريو اثني عشر شخصًا بنيتهما على قتل سانتياغو نزار ولذلك فقد قرّرت إرسال الخبر بعد الساعة الرابعة بعد أن رأت النور في المطبخ «فأرسلت الخبر المستعجل إلى فيكتوريا غوزمان مع المتسولة التي تذهب كل يوم (تسأل) قليلاً من الحليب»[4] وكان أغلب الواقفين لانتظار زيارة الأسقف يعرفون نية الأخوين فيكاريو إلاّ القلة وعاد الأخوان فيكاريو مرة ثانية إلى دكان كلوتيدا ارمينتا مع سكينين ملفوفين بورق الجرائد ولكنهما كانا يبدوان لارمينتا انهما أقل تصميمًا ورأت فرقًا في تصميمهما.

---

(١) المصدر نفسه ص ٥٩.
(٢) المصدر نفسه ص ٦١.
(٣) المصدر نفسه ص ٦١.
(٤) المصدر نفسه ص ٦٣.

«كان بابلو فيكاريو أكبر من أخيه بست دقائق وكان ذا خيال خصب وأكثر حزمًا حتى سن المراهقة بينما بدا لي بيدرو فيكاريو دائمًا أكثر عاطفية وأكثر تسلطًا في الوقت نفسه وفي العشرين من العمر تقدما معا إلى اداء الخدمة العسكرية فأعفي بابلو فيكاريو بوصفه معيلاً للعائلة أما بيدرو فيكاريو فقد أكمل خدمته خلال أحد عشر شهراً في وحدات الأمن الإقليمي.

وقد انضج النظام العسكري بالإضافة إلى الخوف من الموت ميله إلى توجيه الأوامر وعادته في اتخاذ القرار بدلاً من أخيه وقد عاد كعريف وهو مصاب بداء السيلان الذي قاوم أكثر أدوية الطب العسكري الصارمة. . . ولم ينجحوا بشفائه إلاّ في السجن. . .»[1]

وكان بيدرو في بداية الأمر هو الذي قرّر قتل سانتياغو نزار ولكن حين أخذ العمدة السكينين منهما عدّ أن مهمتهما قد انتهت فأخذ أخوه بابلو فيكاريو زمام المبادرة ثانية وقرر الاستمرار في قتل سانتياغو نزار[2].

وظنت (هورتيسنيابوت) ان الأخوين قد قتلاه لأن الخبر كان قد انتشر فحين مرّا بها «كانت أول من بكى على سانتياغو نزار وقالت لي: ظننت انهما قتلاه لأنني رأيت السكينين تلمعان على ضوء مصابيح الشارع وامتلكني شعور بأن نصليهما يقطران دمًا»[3].

وكان أحد البيوت المفتوحة في هذا الشارع أيضًا بيت (برودينسيا كوتيس) خطيبة بابلو فيكاريو ومرّا بالعائلة فسلما على والدة الخطيبة وحين دعيا لشرب القهوة أجّلا ذلك إلى ما بعد القتل فقالت المرأة:

ـ «أحسب ذلك يا أولادي فالشرف لا يحتمل الانتظار»[4].

وقالت الخطيبة: «كنت أعرف ما يدبران. ولم أكن موافقة فحسب بل لرفضت الزواج من بابلو إذا ما تقاعس عن واجبه كرجل»[5] وانتظرت خطيبها بعد ذلك ثلاث سنوات لتتزوجه بعد أن خرج من السجن وحاولت ارمينتا

---

(١) المصدر نفسه ص ٦٥.
(٢) المصدر نفسه ص ٦٥.
(٣) المصدر نفسه ص ٦٧.
(٤) المصدر نفسه ص ٦٧.
(٥) المصدر نفسه ص ٦٨.

اخمادهما بتقديم قنينة خمر شديدة المفعول وقدمت لبيدرو ادوات حلاقة زوجها حين طلب منها ذلك ولكن لم يستخدم الموسى بل استخدم سكين قطع اللحم في الحلاقة وعدت ذلك قمة الرجولة[١].

كان سانتياغو نزار داخل غرفة نومه في الساعة الرابعة وعشرين دقيقة لينام ساعة واحدة قبل أن توقظه الخادم لملاقاة الأسقف بعد ان بقي إلى ما بعد الثالثة في بيت اليكساندرينا سيرفانتس[٢] وكان سانتياغو نزار هو الذي اقترح الصعود إلى رابية التل في الساعة الرابعة ليغنوا للعروسين اغنية صباح زواجها الأول وارتجل أخو الراوية لوي انريك اغنية على شرف العريسين[٣].

وكل هذا كان يدل على أن سانتياغو نزار لا يخفي خوفًا أو قلقًا وكان يجهل ان انجيلا قد أعيدت إلى بيت والديها قبل ساعتين وذهب للنوم كي يلتقي بعد ذلك مع كريستو بيدوبا على ضفة النهر للقاء الأسقف ووصل إلى بيته وأجل تناول القهوة ثم ذهب للنوم وعند ذلك وصل خبر القتل إلى فيكتوريا غوزمان الذي ارسلته كلوتيدا ارمينتا مع المتسولة[٤].

ويذكر الراوية عن أخيه بأنه توقف في دكان ارمينتا وقدم له الأخوان كأسًا شديد الحرارة وقد لوّح له أحد الأخوين بالسكين وقال: «سنقتل سانتياغو نزار» ومع ذاك فان هذه الذكرى بقيت غير واضحة في ذهن أخي الذي كان مخمورًا في تلك الليلة[٥].

وحين مرّ الأب امادور بالدكان ولم يفعل شيئًا شعرت ارمينتا بالخيبة. ولكن الأب امادور اعترف بعد سنوات بانه كان حائرًا ولم يعرف ماذا يفعل وكان يظن أن الأمر من اختصاص الشرطة[٦].

وعاد أخو الراوية لوي انريك من الدكان متعبًا ونام على مقعد المرحاض

(١) المصدر نفسه ص ٦٩.
(٢) المصدر نفسه ص ٦٩.
(٣) المصدر نفسه ص ٧٢.
(٤) المصدر نفسه ص ٧٣-٧٤.
(٥) المصدر نفسه ص ٧٥.
(٦) المصدر نفسه ص ٧٦.

قبل أن تقوده اخته مارغوت إلى فراشه وبعد أن حدثت جريمة القتل هرعت إليه كالمجنونة وهي تهزه وتصيح:
ـ «لقد قتلوا سانتياغو نزار»[١]

٦

بعد أن قتل سانتياغو نزار أرسل العمدة برقية إلى حاكم المقاطعة يخبره بالقتل فأمره باتخاذ ما يراه مناسبًا حتى يصل حاكم التحقيق. وطلب العمدة إجراء تشريح على الجثة.

كان الدكتور ديونيسيو أغواران غائبًا فكلف الأب كارمن أمادور الذي كان طالب طب قبل انتمائه إلى الكنيسة ولم يكلف كريستو بيدويا الطالب في كلية الطب بإجراء التشريح لأنه كان صديق القتيل كما أنه لم يمكن الاحتفاظ بالجثة لأنه لا توجد ثلاجة تسع جثة إنسان. كانت الحرارة لا تطاق وقد جلبت المراوح التي أمكن الحصول عليها من بيوت الجيران وقال الأب كارمن بعد أن اعتزل عمله الكنسي عن التشريح:

«كأننا نقتله مرة أخرى، بيد أنها أوامر من العمدة ولابد من تنفيذ أوامر ذلك الهمجي مهما كانت سخيفة»[٢]

كانت الجثة معروضة وسط الصالة وهي مسجّاة على سرير معدني وكان الناس يتدافعون لرؤيته وكانت الكلاب في السوق هائجة بسبب رائحة الموت. و«عندما كان سانتياغو نزار ما يزال يحتضر في المطبخ حيث وجدت هناك (ديفينا فلور) تبكي صارخة وهي تبعد الكلاب بالعصا فصرخت في وجهي:
ـ ساعدني، الكلاب تريد أن تأكل أحشاءه»[٣]

وحبسنا الكلاب في الإصطبل ولكنها عند الظهيرة هربت وهاجمت

---

(١) المصدر نفسه ص ٧٦-٧٧
(٢) المصدر نفسه ص ٧٨ و ٧٩.
(٣) المصدر نفسه ص ٧٩.

البيت هائجة فأمرت بلاسيدا لينيروا قائلة بغضب:
ـ «يا لهذه الكلاب القذرة! اقتلوها!»[1]

وبقيت الجثة إلى ذلك الوقت تبدو ما زالت سليمة لم يبد عليها التعفن أو التحلل «وكان كريستو بيدويا قد أعاد الأحشاء إلى مكانها وشد البطن بحزام كتاني ومع ذلك فقد بدت الجروح في المساء تنث سائلاً كثيفًا جذب إليه الذباب»[2].

ثم ظهرت بقعة بنفسجية حول الفم ثم ساحت هذه البقعة حتى شعر الرأس وبدأ الوجه السمح وجهًا معاديًا وحين لم يكن من الممكن الانتظار أكثر من ذلك فقد تقرر أن يشرّح الجثة كاهن القرية لأن الكولونيل أبونت عمدة القرية قال لو دفناه ثم «أخرجناه من القبر بعد أسبوع كان الأمر أسوأ»[3] من ذلك، أجرى التشريح في المدرسة العمومية ومساعد الكاهن في عمله الصيدلي وكان يدوّن ملاحظات الكاهن على الجثة. كانت أدوات الجراحة بسيطة وكان بعضها أدوات يدوية يستخدمها أهل مهنة الجزارة أو النجارة ولكن الكاهن نجح في أن يعطي تقريرًا صحيحًا[4] ويذكر الراوية شعوره بعد إجراء التشريح بقوله:

«بعد أن أجري ذلك التشريح المرعب وقد أطل يوم الثلاثاء لم أجد الجرأة على النوم وحيدًا فذهبت إلى بيت ماريا أليكساندرينا سيرفانتس وكنت آمل أنها لم تغلق الباب. وجدت أليكساندرينا سيرفانتس متيقظة وكانت جالسة في فراشها كما يجلس (الأتراك) وأمامها صحن كبير من اللحوم والفواكه ولكنها حين انصرفت إلي بعد ذلك وبدأت تفك أزرار قميصي قالت:
ـ «لا أستطيع فأنت تحمل رائحته»[5].

كان يبدو أن الجميع في القرية يحملون رائحته وقد شعر بها القاتلان

---

(١) المصدر نفسه ص ٧٩.
(٢) المصدر نفسه ص ٧٩.
(٣) المصدر نفسه ص ٨٠.
(٤) المصدر نفسه ص ٨٠.
(٥) المصدر نفسه ص ٨٤.

وهما في السجن وقد قال لي بيدرو فيكاريو: «لقد دلكت نفسي بكل قواي بالصابون والإسفنجة لكني لم أستطع انتزاع الرائحة»[١].

وانتاب بابلو فيكاريو إسهال بعد أن أكل قليلاً من الطعام الذي جلبوه لهما إلى السجن فأصيب بإسهال شديد وفي الساعة السادسة مساء في فترة التشريح استدعي العمدة ليخبره بابلو فيكاريو بأنه وأخاه ربما سممهما العرب بسبب هذا الإسهال[٢].

ووصفت سوسيمة عبدالله المرأة العربية الكبيرة نقيع زهرة الآلام والأفسنتين لإيقاف الإسهال[٣]، وفي يوم الثلاثاء الساعة الثالثة فجرًا ودّعت الأم ولديها في السجن وغادرت العائلة كلها، البنتان الكبيرتان وزوجاهما والأم والأب ومضوا دون أن يثيروا انتباه أحد لأن القلة المستيقظة كانت مشغولة بدفن سانتياغو نزار وكان خروجهم موقوتًا حتى تهدأ الأمور ولكنهم لم يعودوا أبدًا و«غطت بورا فيكاريو وجه ابنتها المعادة بقطعة قماش لكي لا يرى أحد آثار الكدمات وألبستها ثوبًا أحمر فاقعًا لكي لا يتصور الناس بأنها في حداد على حبيبها السري[٤]».

وبقي الأخوان في السجن حتى يوم نقلهما إلى ريوهاشا ورفضا الذهاب إلى سجنهما هناك ليلاً بل ذهبا في وضح النهار وبعد وقت قصير مات أبوهما (يونيسيو فيكاريو) وبعد أن أطلق سراحهما بقيا في (ريوهاشا) التي تبعد يومًا واحدًا عن (مانور) حيث تعيش عائلتهما وذهبت إلى هناك برودينستاكوتيس لتتزوج من بابلو فيكاريو الذي اتخذ من مهنة أبيه وهي زخرفة الذهب عملاً وأصبح صائغًا ذا صيت أما بيدرو فيكاريو فقد بقي دون زواج أو عمل و«التحق بعد ثلاث سنوات بالقوات المسلحة ونال رتبة عريف وفي صباح يوم رائع توغل مع دوريته في منطقة لحرب العصابات[٥]» ثم اختفى.

---

(١) المصدر نفسه ص ٨٤.
(٢) المصدر نفسه ص ٨٦.
(٣) المصدر نفسه ص ٨٨.
(٤) المصدر نفسه ص ٨٩.
(٥) المصدر نفسه ص ٨٩-٩٠.

أما بالنسبة للناس فإن الضحية الأولى هو بيادرو سان رومان الذي وجد في فراشه متسممًا بالكحول وتمكن الدكتور من إعادته إلى وعيه ولكنه طرده وطرد الناس الذين جاءوا لعيادته وقد أقلقهم أمره ثم قال لهم: «لا أريد أحدًا يزعجني ولا حتى أبي[1]» ولم يأت أبوه لرؤيته بعد أن استلم برقية العمدة بل أرسل زوجه وابنتيه وامرأتين أخريين تقدمتا في السن وقد جئن بمركب شحن ومررن بالقرية إلى الرابية وهن يصرخن وينتفن شعورهن وبعد ذلك حمل بيادرو سان رومان على حمالة وكانت ذراعه اليمنى متدلية تخط في الأرض وكانت أمه ترفعها كلما سقطت.

وكان الراوية وأصحابه يصعدون إلى البيت لاستطلاع أمره ولكنهم كانوا يجدون أشياءه تتناقص باستمرار وحين مرّ به الراوية بعد ثلاث سنوات لم يبق في البيت شيء حتى الخزانة فقد فككها بعض اللصوص الذين جاءوا من (مدبوكس) وكان ايكسيوس الذي باع البيت لبيادرو سان رومان يعتقد أن زوجه الميتة هي التي تعود إلى البيت لأخذ حاجاتها وحتى السيارة اختفت حاجاتها شيئًا فشيئًا ولم يبق إلاّ هيكلها وبعد سنوات نسي صاحبها. وبعد ثلاث وعشرين سنة التقى الراوية ببيادرو سان رومان وكان لقاءً عدوانيًا رفض فيه بيادرو أن يزوده بأية معلومات وقد اختفى لفترة حتى إن أبويه كانا يجهلان محل إقامته[2].

أما أنجيلا فيكاريو فكانت أخبارها تصل إلى الراوية خاصة بعد أن ذهبت أخته إلى هضاب غواجيرا لدعوة آخر الوثنيين إلى المسيحية وقد التقت بأنجيلا هناك حيث دفنت حيّة وكانت تحمل إليه تحياتها. وحين عمل الراوية في بيع الموسوعات والكتب وهو يتجول من منطقة إلى أخرى التقى بأنجيلا فيكاريو وقد ابيضّ شعر رأسها وكانت تضع نظارات لضعف بصرها وهي تعمل على ماكنة التطريز طيلة النهار. لقد كانت تلك أنجيلا فيكاريو بعد ثلاثة وعشرين عامًا[3].

---

(١) المصدر نفسه ص ٩١

(٢) المصدر نفسه ص ٩٣-٩٤

(٣) المصدر نفسه ص ٩٥-٩٦.

استقبلت أنجيلا الراوية كابن خالة بعيد القرابة وحدثته بعقل راجح أما أمها فقد رفضت الكلام وكأن الراوية كان شبحًا «وحين سألتها سؤالاً مباشرًا عن الذي اعتدى عليها بعد أن قدمت كل حججي عن براءة سانتياغو نزار»، رفعت بصرها قليلاً عن عملها في التطريز لتدحضها جميعًا وقالت لي:

- يا ابن خالتي لا تبحث عن المصاعب حيث لا توجد، لقد كان هو[1] وكلمته عن كل شيء بصراحة وأعلمته عن نصيحة صديقتها بأن تجعل زوجها ثملاً وأن تستخدم الماء والشب وأن تلطخ الشرشف بكروم الزئبق وقالت له: «لم أفعل شيئًا مما نصحتني به لأنني كلما فكرت بالأمر أكثر، تنبهت إلى أن ذلك كله ما هو إلاّ قذارة لا أستطيع ممارستها مع أحد وخصوصًا من الرجل المسكين الذي دفعه سوء حظه للزواج مني»[2].

ومع ذلك فقد أخبرته بأن بيادرو سان رومان قد بقي في قلبها منذ تلك الليلة. وحين ضربتها أمها بعد أن أرجعها زوجها إلى البيت وبكت، لم تكن تبكي ألمًا وشرحت للراوية سبب بكائها: «لم أكن أبكي بسبب الضربات ولا بسبب ما حدث لقد كنت أبكي من أجله»[3].

وأخبرت أنجيلا الراوية بأنها رأت زوجها في إحدى المرات صدفة في فندق في ريوهاشا وبعد أن عادت بكت لثلاثة أيام متواصلة ثم غلبها حبه فبدأت تكتب إليه. لقد كانت رسائلها تحمل مختلف العواطف والموضوعات وبعد مضي عشر سنوات على ذلك دخل عليها في أحد أيام آب الحارة وقد بدّن وتناقص شعره ووضع النظارات ثم ألقى خرجًا يحمل كل رسائلها إليه وقال:

«حسن ها أنا ذا» وكان في إحدى حقائبه حوالي ألفي رسالة وكانت مرتبة حسب التواريخ التي أرسلتها فيها وكلها غير مفتوحة».

ولم يشأ أن يخبرنا الراوية هل كانت عودة بيادرو سان رومان عودة الابن

---

(١) المصدر نفسه ص ٩٦-٩٧.
(٢) المصدر نفسه ص ٩٧-٩٨.
(٣) المصدر نفسه ص ٩٨-٩٩.

الضال إلى أهله أو أنها كانت عودة احتجاج ورفض؟[1]

واحتفظ الكاتب في الفصل الأخير من روايته لمشهد القتل ذاته وكيف شلت إرادة الناس في إيقاف الجريمة وكيف لعب القدر في تهيئة مسرح الأحداث لهذه الجريمة البشعة. والكاتب لم يشف ظمأنا لمعرفة الفاعل الحقيقي الذي دمر حياة أنجيلا وأودى بحياة سانتياغو نزار. وليس لنا إلاّ قول أنجيلا الذي نطقت به ثلاث مرات بأن سانتياغو نزار هو سبب المصيبة وأنه استحق ما وقع له.

٧

شغل القرية التي كانت تنام مع الليل وتستيقظ مع النهار ما حدث وكان كثيرون ممن أهمتهم المأساة يسهرون حتى الفجر لترتيب المصادفات التي جعلت المستحيل ممكنًا وأن هذه المصادفات في تجاهل حدوث المأساة أو انشغال من علم بها بأمور أخرى جعلت الراوية يؤمن بقدرية تقيد الإنسان ولذلك فإنه يقول: «إننا جميعًا لم نعد نستطيع الاستمرار في الحياة دون أن يعلم كل واحد منا بالضبط ما هو المكان والمهمة اللذان حددهما له القدر. . .»[2].

وحار رواة المأساة كيف شغلتهم أمور أخرى ثانوية مقدرة عن الأخبار عن المأساة قبل حدوثها. قال:

«بقي كثيرون يجهلون ذلك. فكريستو بيدويا الذي أصبح جرّاحًا شهيرًا لم يستطع أن يفسر لنفسه لماذا استسلم لدافع البقاء في بيت جدّيه لمدة ساعتين ريثما يصل الأسقف بدلاً من الذهاب ليستريح في بيت والديه، اللذين كانا ينتظرانه حتى الفجر ليحذراه؟»[3] وحاول من شغلهم القدر عن التبليغ عن

---

(١) المصدر نفسه ١٠٠-١٠٣ لم يوضح في الرواية كما قلنا بعد النص إذا كانت عودة الزوجة عودة إقامة أو عودة احتجاج ولكنه يعلق في كتاب مقابلاته (رائحة الجوافة ص ٣٤) بأن العودة عودة إقامة إذ يقول: «ففي الحياة الواقعية تنتهي القصة بعد خمسة وعشرين عامًا عندما يعود الزوج إلى زوجته المنبوذة».

(٢) المصدر نفسه ص ١٠٤.

(٣) المصدر نفسه ص ١٠٤.

المأساة أن يجعل وقوعها حتميًّا لأن «الشرف هو الحب[1]».

وقد تأثر بعضهم بالمأساة من قريب أو بعيد فإن هورتيسيا بوت التي رأت على السكينين دمًا قبل وقوع الجريمة فقد «أخذت تهذي في نوبات تأنيب الضمير حتى بلغت ذات يوم أنها خرجت إلى الشوارع عارية»[2].

وهربت فلورا ميغويل خطيبة سانتياغو نزار تحت تأثير الألم مع ضابط وحوّلها بعد ذلك إلى ساقطة في مقاطعة فيشادا[3].

أما أورافيبوس قابلة ثلاثة أجيال من أهل القرية فأصابها تشنج في المثانة. وقضى روجيلو دي فلورا زوج كلوتيدا أرمينتا من أثر صدمة الجريمة حين رأى سانتياغو نزار تقطع أوصاله.

أما أمه بلاسيدا لينيرد التي أغلقت البوابة الرئيسة في وجه ولدها فانها قالت بانها قد أغلقتها لأن ديفينا فلورا أقسمت بأنها رأت سانتياغو نزار يدخل البيت ولم يكن ذلك صحيحًا[4].

وصل المحقق بعد اثني عشر يومًا إلى القرية التي وقعت فيها الجريمة وانهال عليه الناس للإدلاء بأقوالهم واضطر إلى الاستعانة بالجنود لإيقاف حشودهم ولم يترك اسمه في التقرير إلاّ أن أشخاصًا ساعدوا الراوية بعد عشرين سنة للتعرف عليه في قصر العدالة في ريوهاشا، كانت الملفات في قاع مبنى ضخم وكان ماء البحر قد غطى كثيرًا منها فخاض الراوية في الماء للبحث عن الملف وبعد خمس سنوات من البحث تمكن الراوية من إيجاد ٣٢٢ صفحة مبعثرة من أصل ٥٠٠ صفحة[5].

لم يتمكن المحقق أن يجد دليلاً واحدًا في جميع الأقوال على أن سانتياغو نزار كان الفاعل ما عدا أقوال أنجيلا فيكاريو.

---

(١) المصدر نفسه ص ١٠٤.
(٢) المصدر نفسه ص ١٠٤.
(٣) المصدر نفسه ص ١٠٥.
(٤) المصدر نفسه ص ١٠٥.
(٥) المصدر نفسه ص ١٠٦.

إن جميع تصرفات سانتياغو نزار لم تدل على أنه الذي أوقع بأنجيلا كما أنه محكوم بسلوك طبقته وغروره وحين وعد أخت الراوية مارغوت بأنه آت للفطور ذهب مع كريستو بيدوبا وكانا سعيدين حتى أن ميمي لويزا قالت: «كانا يسيران سعيدين فحمدت الله بأن القضية قد سوّيت»[١].

وظن بولوكاربو صاحب دكان المواد الكهربائية بأنه كان رابط الجأش وقال: «كنت اعتقد أن أمواله تحميه»[٢] وقالت زوجه معلقة على قوله «مثل كل العرب»[٣].

وظن انداليسيو باردو حين كان في دكان كلوتيدا أرمينتا وسمع بالخبر ظن أن كلام الأخوين «كلام فارغ من كلام السائرين في نومهم»[٤] ومع أنه قد رآه مع كريستو بيدوبا فإنه لم يجرؤ على إخباره عمّا سمع من محاولة قتله، كان الناس يسيرون باتجاه سانتياغو نزار وظنت اسكولاستيكا أنه وكريستو بيدوبا كانا يسيران دون صعوبة وروى كريستو بيدوبا أنه يتذكر نظرات الاستغراب إليهما وقال: «كانوا ينظرون إلينا وكأننا مهرجان»[٥].

وفزعت سارة نورييغا العاملة في دكان الأحذية حين رأت شحوب سانتياغو نزار فقال لها وهو يسير مهدئًا فزعها: «تعرفين أيتها الصغيرة سارة بصخب الشرب هذا»[٦].

أما سيليست دانغوند الذي كان جالسًا أمام باب بيته بالبيجاما متجاهلاً ترقب وصول الأسقف فقد دعا سانتياغو نزار إلى كوب من القهوة لكسب الوقت ولكن سانتياغو نزار أخبره بأنه سيتناول الفطور في مكان آخر.

وحاول ياميل شيئوم وهو من العرب الذين وصلوا مع نزار إلى هذه القرية فإنه وقف في باب دكانه ليحذر الفتى مما يدبر له[٧] ونادى ياميل كريستو

(١) المصدر نفسه ص ١٠٩.
(٢) المصدر نفسه ص ١٠٩.
(٣) المصدر نفسه ص ١٠٩.
(٤) المصدر نفسه ص ١٠٩.
(٥) المصدر نفسه ص ١١٠.
(٦) المصدر نفسه ص ١١٠.
(٧) المصدر نفسه ص ١١١.

بيدوبا الذي ودّع سانتياغو نزار وتوجه إليه وحين سمع كريستو بيدوبا بالخبر خرج راكضًا من الدكان لإنذار سانتياغو نزار فلم يلحق به[1] وذهب إلى البيت ليسأل عنه ودخل من البوابة الرئيسة فقيل له إنه لم يعد بعد. كانت الساعة السادسة وأعاد كريستو بيدوبا السؤال على ديغينا فلورا إذا كانت متأكدة بأن سانتياغو نزار ليس في الداخل وسألها عن بلاسيدا اينيرو فقالت له: بأن وقت يقظتها قد حان وفي الساعة السادسة وست وخمسين دقيقة اندفع بيدوبا إلى غرفة سانتياغو نزار من خلال غرفة أمه فلم يجده في غرفته ولم يجد الجرأة على إخبار أم سانتياغو نزار في غرفة صاحبه وقد ظنته جاء ليسرق[2].

وحين مرّ كريستو بيدوبا في بحثه عن سانتياغو نزار بدكان كلوتيدا أرمينتا صاح به بيدرو فيكاريو الذي كان يقف على باب الدكان «ياكريستوبال، اذهب واخبر سانتياغو نزار بأننا ننتظره هنا لقتله»[3] كان ذلك نوعًا من طلب المساعدة ليحول كريستو بينه وبين ارتكاب الجريمة وكان كريستو الذي حمل مسدس سانتياغو نزار إليه هدد بما تفعله الرصاصة الواحدة من هذا المسدس وإن سانتياغو نزار مسلح به وصرخت به كلوتيدا أرمينتا «كي يسرع لأنه في قرية مخنثين كهذه لا يستطيع منع المأساة سوى رجل مثله»[4].

وهنا بدأ الناس يأخذون مواقعهم في الساحة لمشاهدة الجريمة التي سمعوا من خلال الرواية أو سماع الآخرين مباشرة عن وقوعها. وأمام باب النادي التقى كريستو بيدوبا بالكولونيل لازارو أبونت العمدة وأخبره عمّا سمعه قبل قليل أمام دكان كلوتيدا فأجابه بأن ذلك مستحيل لأنه سبق له أن أخذ السكينين من يد الأخوين وأرسلهما إلى بيتهما.

فرد كريستو بيدوبا:

«رأيتهما منذ دقيقتين وفي يد كل منهما سكين لذبح الخنازير.

---

(١) المصدر نفسه ص ١١٢.
(٢) المصدر نفسه ص ١١٦.
(٣) المصدر نفسه ص ١١٦.
(٤) المصدر نفسه ص ١١٧.

قال العمدة:
ـ اللعنة! لابد وأنهما عادا بسكينين أخريين إذن!»[١]

ووعد العمدة باتخاذ إجراء سريع ولكنه دخل إلى النادي الاجتماعي ليحجز موعدًا للعب الدومينو هذه الليلة وحين خرج وقعت الجريمة.

وأخطأ كريستو بيدويا في التقدير إذ ظن أن سانتياغو نزار سيتناول الفطور في بيت مارغوت وكان يسأل كل من يلقاه ولم يقلق لوجود دروب مختلفة تؤدي إلى البيت وأخرته بروسبيرا أوانغو كي يساعدها في ادخال أبيها الذي يحتضر على السلم إلى غرفة أبيها وأخّره ذلك أربع دقائق وحين انعطف إلى البيت رأى لويزا سانتياغو وابنها جيم فقال لهما:
ـ «أين هو ابنك بالعماد يا لويزا سانتياغو؟»

التفتت أم الراوية بصعوبة وقد غسلت الدموع وجهها وقالت:
ـ «آي يا صغيري يقولون بأنهما قتلاه!»[٢]

في تلك اللحظة كان سانتياغو نزار قد دخل بيت خطيبته فلورا ميغويل وكان كريستو بيدويا يظنْ أنه لن يذهب إلى هناك لأن العائلة لا تستيقظ قبل الظهر.

في ذلك الصباح استيقظت فلورا مع أول صيحة المركب ثم علمت بخبر القتل وحين التقى بها كانت مغضبة فرمت رسائله إليها في وجهه وبعد أن استعلم منها أبوها حدثته بالخبر في غرفتها فخرج إليه وسأل: «إذا ما كان يعلم بأن الأخوين فيكاريو يبحثان عنه لقتله»[٣].

وقال له ناهير ميغويل والد فلورا:
ـ «إنك تعلم ما إذا كانوا على حق أم لا. وعلى أية حال لم يبق أمامك سوى أحد أمرين: إما أن تختبئ هنا وهذا البيت بيتك أو أن تخرج ومعك

(١) المصدر نفسه ص ١١٨.
(٢) المصدر نفسه ص ١١٩.
(٣) المصدر نفسه ص ١٢٣.

بندقيتي. فقال سانتياغو نزار: لست أفهم شيئًا مما تقول»[1]

حين خرج إلى الساحة وقد تجمهر الناس أدرك بأنه قد عرف بنيّة الأخوين فيكاريو.

«كان مرتبكًا إلى حد أنه لم يستدل إلى طريق بيته وقيل إن أحدهم صرخ به من شرفة بيته:

ـ لا تذهب من هنا أيها (العربي)، اذهب من جهة الميناء القديم... وصرخ به ياميل شيئوم بأن يدلف إلى دكانه ومضى ليأتي ببندقيته الخاصة بالصيد لكنه لم يتذكر أين خبأ الخرطوش»[2].

وتكاثرت النداءات وكان سانتياغو نزار يتلفت إلى كل جهة وكان يسير باتجاه الطريق الذي يقود إلى بوابة المطبخ ولكنه تذكر فجأة أن البوابة الرئيسة مفتوحة وفي تلك اللحظة قال بيدرو فيكاريو أنه هنا...

أخرجا السكينين ومسكت كلوتيدا أرمينتا بقميص بيدرو وصرخت بسانتياغو أن يركض. كانت صرختها عالية غطت على اللغط فدفعها بيدرو فيكاريو فسقطت أرضًا بسبب دفعته القوية ولحق بأخيه. كان سانتياغو نزار قد اقترب من بيته وأصبح على بعد خمسين مترًا فاندفع راكضًا باتجاه الباب الرئيس[3].

وقبل أن يحدث ذلك بخمس دقائق نقلت فيكتوريا غوزمان لبلاسيدا لينيرو ما سمعت عن الجريمة التي سوف ترتكب وقالت إنها لم تكن تعرف عن الجريمة شيئًا حين نزل سانتياغو نزار من غرفته لشرب القهوة.

وقالت ديفينا فلور بأنها رأت سانتياغو نزار يدلف إلى غرفته ورأت الأم من خلال البوابة الأخوين فيكاريو يركضان باتجاه البيت ولكنها لم تلمح ابنها الذي جاء راكضًا من الزاوية الأخرى فظنت الأم أنهما يريدان دخول البيت

---

(١) المصدر نفسه ص ١٢٥.
(٢) المصدر نفسه ص ١٢٤.
(٣) المصدر نفسه ص ١٢٥.

لقتله فيه وعندئذ أغلقت الباب وسمعت صرخات سانتياغو نزار وضربات الخوف على باب الدار فظنت أنه يشتم الأخوين فيكاريو من شباك غرفته.

كان بين الموت والنجاة بضعة ثوان فقط وحين طرق الباب المغلق واستدار دافع بيديه العزلاوين من السلاح ضربه بيدرو فيكاريو الذي هاجمه من اليسار فشقت السكين راحة يده اليمنى ثم غاصت في الخاصرة وصاح بصوت أليم.

ـ «اي، يا أمي»[1]

وضربه بيدرو مرة ثانية في المكان نفسه وقال بيدرو «الأمر الغريب هو أن السكين كانت تخرج نظيفة وأضاف: لقد ضربته ثلاث ضربات على الأقل دون أن تخرج قطرة دم واحدة»[2].

وبعد الضربة الثالثة انحنى سانتياغو نزار إلى الأمام فضربه بابلو فيكاريو الذي كان يقف في جهة اليسار في ظهره واستدار سانتياغو نزار ثانية واستند إلى الباب ولكنه لم يصرخ وكأنه يطلب أن يعاجلاه بالقتل.

ثم ضربه بابلو فيكاريو في بطنه فاندفعت أمعاؤه من جوفه وضربه بيدرو فيكاريو ضربة خائفة في الفخذ لم يجرؤ أن يضرب مثل ضربة أخيه وبعد ذلك خرّ على ركبتيه. ونظرت الأم من النافذة فرأت الأخوين فيكاريو يركضان نحو الكنيسة وخلفهما يركض ياميل شيئوم وبيده بندقية وكان معه بعض العرب العزل.

وحين نظرت ثانية من الشرفة رأت ابنها وقد خرّ صريعًا أمام الباب وهو يحاول النهوض وقد تمرّغ بدمه. سار إلى الباب الثاني ليدخل البيت من الخلف من باب المطبخ وكان كأنه يسير في غيبوبة واضطر إلى المرور من خلال حديقة دار الجيران.

ظنت بونشو لاناو وزوجها وأولادها أن الضوضاء في الخارج كانت

(١) المصدر نفسه ص ١٢٦-١٢٧.

(٢) المصدر نفسه ص ١٢٧.

حفلة الأسقف وفي الحال رأوا سانتياغو نزار وهو يحمل أمعاءه المندلقة من جوفه بيده.

وروت الابنة أرجينيدا لاناو بأن «سانتياغو نزار كان يمشي بترفعه المعهود وهو يوازن خطواته جيدًا. وكان وجهه (العربي) بتجاعيده المتفرقة أجمل من السابق ولدى مروره مقابل المائدة ابتسم لها»[(١)]

جمّد آل لاناو الخوف وكانت عمّة الراوية وينفريدا ماركيز تنظف سمكة على الجانب الآخر من النهر وحين رأته في وضعه ذاك قالت له:

ـ «ما الذي حدث لك، بني سانتياغو؟

تعرف عليها سانتياغو نزار وقال:

ـ لقد قتلوني يا وين!»[(٢)]

وبعد أن دخل من البوابة الخلفية إلى بيته سقط بطوله على أرضية المطبخ. وبذلك تنتهي الرواية التي عرض فيها ماركيز هذه الشخصية الرئيسة في حياتها اليومية ومن خلال رواته تمكن أن يجمع شتات أخبار الجريمة بعد أن مضى عليها زمن طويل فأعاد بناءها من جديد وفي حيوية خارقة.

وبذلك تكون هذه الرواية العمل الأدبي الأول الذي خصص لدراسة شخصية العربي وجعله يقوم بالدور البطولي الأول في رواية أجنبية في أمريكا اللاتينية.

وبقي علينا أن ننظر نظرة نقدية نسجل فيها ملاحظاتنا على شخصيات الرواية قبل أن ننتهي إلى النتائج في هذا البحث...

---

(١) المصدر نفسه ص ١٣٠.

(٢) المصدر نفسه ص ١٣٠.

الرواية، أية رواية هي شريحة من الحياة أو مقاربة للحياة ولذلك فإن مستوى العلاقة بين الشخصيات تشبه العلاقة في الحياة الواقعية وإن العلاقة بين الشخصيات تكون مثل تلك العلاقة في الحياة الواقعية منها ما تكون ذات معرفة عميقة وعلاقة وثيقة ومنها ما تكون علاقة وسطى ومنها ما تكون علاقة عابرة وعلاقة مصادفة.

وإن الشخصيات التي تدور حول الشخصيات المركزية منها ما تكون في مركز الفعل الروائي وتكون قريبة من لحمة العقدة ومنها ما تكون بعيدة عن المركز ولا تمسها الأحداث إلا مصادفة. وفي سبيل خلق مشابه للحياة فإن الكاتب يحتاج إلى شخصيات عابرة وأسماء شخصيات مجهولة لإكمال الواقعية المطلوبة.

وإن رواية (وقائع موت معلن) لا تشذ عن هذه القاعدة وإن هذا التقديم ما هو إلا محاولة لإبراز دور الشخصية العربية الرئيسة في الرواية وإشارة إلى ما حولها من شخصيات ثانوية أو مغمورة.

ويمكن أن تصنف هذه الشخصيات كما في الروايات الأخرى إلى شخصيات نساء وشخصيات رجال وفي سبيل بناء هرمي من أسفل نبدأ بذكر الشخصيات ذات الأهمية القليلة لتنتهي في الأخير إلى الشخصية المتوسطة أو الثانوية التي كان لها بعض الدور في بناء أحداث الرواية.

أ- الشخصيات الأنثوية:

إن بعض الشخصيات الصغيرة التي قد يرد اسمها مرة واحدة أو مرتين خلال روايتها الحدث أو مشاهدة الشخصية في الحدث أعطى لنسيج الرواية صدقًا واقعيًا على الرغم من تفاهة الدور الذي قامت به.

فمن الشخصيات الاعتيادية جدًا والتي تمثل قاعدة الهرم المرأة المتسولة[1] التي كلفتها كلوتيدا أرمينتا بإبلاغ آل نزار بنيّة ابني فيكاريو في قتل سانتياغو نزار ولم يرد لها اسم فهي شخصية عابرة جدًا تتعيش من تسوّل الحليب كل صباح.

---

(١) المصدر نفسه ص ١٨-١٩ و ص ٦٣.

ومن هذه الشخصيات اللواتي كن بدون اسم واللواتي ورد ذكرهن لمرة واحدة صاحبة الفندق[١] التي سألها بيادرو سان رومان عن اسم أنجيلا فيكاريو.

ومن هذه الشخصيات أيضًا مرسيدس بارشا[٢] التي ذكرت خبرًا من أحداث الرواية ويمكن أن تضاف إلى هذه الشخصيات شخصية ماجدلينا أليفيه[٣] التي رأت بيدرو سان رومان على السفينة لأول مرة.

ومنها المرأة العجوز هورتسينا بوت التي.بكت حين ظنت أنها رأت الدم على السكينين[٤] ومنها بروديتسيا كوتيس خطيبة بابلو فيكاريو[٥] والقابلة فيبرس التي احتبس بولها حين سمعت بالجريمة[٦] والمرأة المجهولة اسكولا ستيكو سينسيرو[٧] والفتاة اللعوب بروسبيرا بيدوبا التي أخّرت كريستو بابلو عن مهمته بسبب أن والدها كان في النزع[٨] وبوريزيما ديل كارمن والدة أنجيلو فيكاريو[٩] وأرجنيدا لاو ابنة جار آل سانتياغو السيد لانشار[١٠] لاو ومنيغريدا ماركيز أو (وين) خالة الراوية ماركيز[١١] وسارة نوربيغا الفتاة الصغيرة التي تعمل في دكان الأحذية[١٢].

وتزداد أهمية بعض الشخصيات لتردد ذكر الشخصية في الأحداث وهي تمثل أكثر الشخصيات الأنثوية الأخرى ومنها:

سوسيمة عبدالله المرأة العربية ذات المائة عام وطبيبة الأعشاب التي وصفت الدواء للقاتلين وهما في السجن[١٣].

---

(١) المصدر نفسه ص ٣٠.
(٢) المصدر نفسه ص ٤٧،
(٣) المصدر نفسه ص ٢٧.
(٤) المصدر نفسه ص ٦٧.
(٥) المصدر نفسه ص ٦٧.
(٦) المصدر نفسه ص ١٠٥.
(٧) المصدر نفسه ص ١١٠.
(٨) المصدر نفسه ص ١١٩.
(٩) المصدر نفسه ص ٣٢.
(١٠) المصدر نفسه ص ١٣٠.
(١١) المصدر نفسه ص ١٣٠.
(١٢) المصدر نفسه ص ١١٠.
(١٣) المصدر نفسه ص ٨٨.

ومن هذه الشخصيات ماريا أليكساندرينا سيرفانتس صاحبة دار اللهو التي كانت على صلة بشباب القرية[١]. وكذلك فكتوريا غوزمان خادم عائلة آل نزار وابنتها ديفينا فلوريل[٢].

ومن هذه الشخصيات بورا فيكاريو أخت أنجيلا وأخت القاتلين بيدرو وبابلو فيكاريو[٣]. ومنها كذلك لويزا سانتياغو أم مارغوت والراوية وأم نزار بالعماد[٤] وولدها الصغير جيم.

أما الشخصيات الأنثوية ذات الأهمية في مجرى أحداث الرواية فمنها: أم سانتياغو نزار بلاسيديا لينيروا[٥] ومن هذه الشخصيات كذلك فلورا ميغويل[٦] خطيبة نزار وأنجيلا فيكاريو زوجة سان رومان ومارغوت[٧] أخت الراوية وهي الراهبة التي رقصت في زواج أنجيلا وإحدى المحبات لسانتياغو نزار بسبب قربى العماد.

إن أهم الشخصيات الأنثوية التي تقترب من الحدث ومركز العقدة في الرواية هي كلوتيدا أرمينتا[٨]. فقد حاولت جاهدة أول الأمر في إيصال خبر الجريمة المرتقبة إلى آل نزار وحاولت ثانية في منع الأخوين فيكاريو من ارتكاب الجريمة بمحاولة إخبار العمدة والقسيس وبمحاولة إسكارهما وتدخلت تدخلاً جادًا حين أمسكت قميص أحد القاتلين لمنعه من الاندفاع لقتل سانتياغو نزار وهي التي علا صوتها الأصوات المحذّرة حين اندفع القاتلان نحو الضحية وباءت كل محاولاتها الخيرة بالفشل وهي تمثل الأنثى التي تكره العدوان وتحب السلم الذي يجب أن يسود في المجتمعات التي تنحو نحو الرفاه والاستقرار.

---

(١) المصدر نفسه ص ٤٩.
(٢) المصدر نفسه ص ١٠ و ص ١٤.
(٣) المصدر نفسه ص ٣٥.
(٤) المصدر نفسه ص ٢٥ و ص ٢٦.
(٥) المصد نفسه ص ٥ وما بعدها.
(٦) المصدر نفسه ص ١٠٤.
(٧) المصدر نفسه ص ٢٩.
(٨) المصدر نفسه ص ١٨.

ب - الشخصيات المذكرة:

لا تخلو الرواية من شخصيات ثانوية مجهولة لا نعرف من هي أو أننا لا نعرف عنها الكثير فمن هذه الشخصيات المجهولة الرجل الذي قابل لويزا سانتياغو راكضا في الاتجاه الآخر وقال لها لا ينفع ذهابك إلى أي مكان فقد قتلاه ومنها الجندي الذي جاء لأخذ حليب العمدة[١] ومنهم انداليسيو باردو[٢] وهو راوية مجهول ذكره لمرة واحدة ومنهم بولو كاربو[٣] صاحب دكان المواد الكهربائية. ومن هذه الشخصيات سيليست دانغويد وهو رجل مجهول كان يلبس البيجاما في باب داره ويسخر من المندفعين للقاء الأسقف[٤]. ومن هذه الشخصيات المحقق الذي لم يذكر اسمه في التقرير[٥] والدكتور ديونيسيو أغواران الذي كان غائبًا في صباح الجريمة وروجيليو دي لافلورا زوج كلوتيدا أرمينتا[٦].

ومن الشخصيات ذات الأهمية الثانوية بعض الشيء فوستنيو سانتوس الجزار الذي التقى بالأخوين فيكاريو وهما يشحذان سكينيهما[٧] ودون لازارو أبونت، العمدة[٨] والجنرال بيترونيو سان رومان والد بيادرو وبطل الحروب الأهلية ومساعد الكولونيل أوريليانو بويندا[٩] ومن هذه الشخصيات بونسيسو فيكاريو والد أنجيلا والقاتلين[١٠]. وكان يعمل صائغًا وكذلك الأرمل ايكسيوس[١١] صاحب البيت الذي اشتراه بيادرو سان رومان لزوجته

(١) المصدر نفسه ص ٢٦ و ص ٥٧ .
(٢) المصدر نفسه ص ١٠٩.
(٣) المصدر نفسه ص ١٠٩.
(٤) المصدر نفسه ص ١١١.
(٥) المصدر نفسه ص ١٠٦.
(٦) المصدر نفسه ص ٧٨ و ص ٥٩.
(٧) المصدر نفسه ص ٥٥.
(٨) المصدر نفسه ص ٢١.
(٩) المصدر نفسه ص ٣١.
(١٠) المصدر نفسه ص ٣٢.
(١١) المصدر نفسه ص ٣٧.

ومن هذه الشخصيات روجيليو دي فلورا زوج الشخصية الثانوية المهمة كلوتيدا أرمينتا.

ولعل أهم الشخصيات التي روت الحدث من الذكور هو الراوية الذي لم يذكر اسمه وهو الكاتب ماركيز نفسه وكريستو بيدويا طالب الطب وصديق نزار والذي كان يصغر اسم أبيه فيدعى كريستوبال[1].

أمّا الشخصية الأولى في الرواية التي تسمى في الإنكليزية **Protagonist** فهي شخصية سانتياغو نزار نفسه الذي رسمت شخصيته من خلال ملاحظات الرواة أنفسهم.

أما الشخصية المعارضة **Antagonist** فقد تقاسمها الأخوان فيكاريو وكانا يمثلان الحدث وكأنهما شخصية واحدة ويجب أن نعرف أن بابلو أكبر من بيدرو توأمه بست دقائق وان بيدرو هو الذي ذهب إلى الجندية.

إن المهم في رواية ماركيز أن الشخصيات الثانوية لم تساعد الشخصية الأولى على إكمال الحدث وإنّما ساعدت على إبراز الحدث في إعادة بناء الشخصية الرئيسة وبذلك يكون الترابط بين هذه الشخصيات والشخصية الرئيسة ضروريًا ولا يمكن لذلك الاستغناء عنها أو التضحية بها حيث يصبح من المستحيل الاستغناء عن هذه الشخصيات إذا أردنا أن تكون الصورة واضحة جلية.

---

(١) المصدر نفسه ص ١٩ و ١١٦.

الخلاصة والنتائج

يتكوّن هذا البحث من مقدمة وبابين ويضم كل باب ثلاثة فصول.

وفي **المقدمة** تكلمنا عما أسميناه بالمؤثر الأجنبي من الداخل.

ان أدب العالم الثالث يفرز مؤثرًا جديدًا أغفله منظرُو الدراسات المقارنة ابتداء بفان تيجم، فقد أغفله كذلك كويار وكلود بيشوا وأندريه روسو والكساندر ديما وبراور كما أهملت كتب التنظير العربية التي اعتمدت كثيرًا على الغربيين هذا المؤثر، فلم يشر إليه الدكتور محمد غنيمي هلال والدكتور حسام الخطيب والدكتور رجاء عبد المنعم جبر وغيرهم.

لقد أسمينا هذا المؤثر بايجاز «الأثر الأجنبي من الداخل» وقصدنا بذلك الأثر الذي تحدثه الجاليات المقيمة في أدب بلد ما من خلال (سلوكها اليومي) وليس من خلال (أدبها).

ويظهر هذا المؤثر في أدب العالم الثالث وهذا هو الذي يفسر اهمال الباحثين الأوربيين له ويظهر هذا المؤثر في المجتمعات التي ما زالت في دور التكوين بسبب كثرة المهاجرين كما في أدب أمريكا اللاتينية. وفي سبيل إثبات ذلك درسنا الشخصية العربية في أدب بعض بلدان هذه القارة لتبيان الأثر الذي تركته في أدبها الروائي خاصة.

ان الكلام عن الشخصية العربية اقتضانا أن نمهد في **الفصل الأول من الباب الأول** أرضية تاريخية لهذه الشخصية وأسباب هجرتها. ورفضنا تفسير بعض الباحثين بأن أسباب الهجرة كانت أسبابًا تعود إلى روح المغامرة التاريخية لهذه الشعوب وان سواحل البحر الأبيض كانت منشأ الجاليات

التجارية التي ظهرت بعد ذلك على سواحل المتوسط في ليبيا وقرطاجنة وغيرهما. ونرى أن الاضطهاد السياسي أو الديني الذي أتى بعد الفتنة العامة في جبل لبنان عام ١٨٦٠م كان خلف تلك الموجات العارمة من المهاجرين إضافة إلى أثر الضيق الاقتصادي وشحة الرزق.

وفي سبيل تثبيت الصورة التاريخية فقد أعطينا لمحة تاريخية عن دخول العرب المهاجرين إلى القارة الأمريكية وجداول بأسماء المهاجرين الأول والنوادي الأدبية والصحافة. وتتبعنا أثر التصادم الحضاري بين الأعراق فأشرنا إلى قصة عاطفية بين ملكة جاءت أصلاً من سواحل شرق المتوسط وبنت مملكتها التجارية على سواحل ليبيا وبين ايناس الطروادي بعد تدمير طروادة.

وفي **الفصل الثاني من الباب الأول** الموسوم بالصورة الوهمية أعطينا تخطيطًا لصورة العربي التاريخية في أذهان هؤلاء الكتاب.

وقد تحكمت الترجمة وما وقع في أيدينا من الروايات في رسم هذه الصورة الوهمية والصورة الواقعية التي تظهر في الفصول التالية. فقد درسنا رواية السيد الرئيس لاستورياس وهو من غواتيمالا ودرسنا كذلك رواية مائة عام من العزلة ورواية خريف البطريرك ورواية وقائع موت معلن ورواية ساعة نحس ورواية ليس لدى الكولونيل من يكاتبه ومجموعة قصصية بعنوان مأتم الأم الكبيرة لماركيز وهو كاتب كولومبي وحائز على جائزة نوبل.

ودرسنا أيضًا رواية أرض ثمارها من ذهب ورواية تيريزا باتيستا ودروب الجوع وطرق الأمل وهما يكونان رواية واحدة باسم المحصول الأحمر ورواية غابرييلا لجورج امادو وهو من البرازيل وبسبب مواقفه الإنسانية وتعاطفه الشديد مع الشخصية العربية فلم يحز بعد على جائزة نوبل.

ضمت الصورة الوهمية المليئة بالخلط والتشويش المعلومات المترسبة في أذهان هؤلاء الكتاب الذين لم يكونوا على صلة وثيقة بتاريخ الشرق فإنهم من شعوب يفصلهم المكان والزمان عن الشرق فقد كان اسم بابل يمثل الشرق وكل شيء ينسب إليها وقد تقع في بعض الروايات أسماء كتب عربية مثل ألف

ليلة وليلة وأسماء علماء عرب مثل ابن رشد ولكن ليس أبعد من ذلك.

ويمثل الشرقي لهؤلاء الكتّاب صورة رومانتيكية فالملامح الحزينة والعينان العربيتان هما كل ما يميز الشخصية الشرقية التاريخية.

وفي **الفصل الثالث من الباب الأول** الموسوم بالصورة الواقعية نصل إلى أرض صلبة في معرفة هؤلاء الكتّاب بالجاليات العربيّة من خلال رؤيتها والتعامل معها. فان المهاجر العربي في أمريكا اللاتينية قد ظهر في كل المدن والقرى بائعًا متجولاً أو تاجرًا أو صاحب مهنة ما.

وكان هؤلاء الكتّاب يطلقون على العرب اسم (التركي) لأن الصلة بين الشرق وأمريكا الجنوبية قد تمّت، والبلاد العربية ما زالت تخضع للحكم التركي ونجد ان الكتّاب أنفسهم يصححون هذا المفهوم المغلوط كلما تقدم بهم الزمن وتعمقوا في دراسة الشخصية العربية. ولذلك فإننا نجد أمادو ـ الذي درس الشخصية العربية بعمق يقول صراحة: «أرجو ألا أكون مضطرًا إلى أن أوضّح أنني أعني العربي، السوري، اللبناني الذي يسمونه هنا التركي».

وتظهر صورة العرب الأوائل من الجيل الأول في الروايات باعة لكل شيء كالقلائد والحلى الزجاجية والأخفاف وقد يعلق بعض الباعة المتجولين الحلق في آذانهم وهم يقايضون بضاعتهم بأي شيء إذا لم تتوفّر النقود ويتركز العرب في أماكن خاصة بهم فبعض الشوارع تحمل اسمهم مثل «شارع التركو» ولهم أحياء تحمل الاسم نفسه.

وقد يعمل بعضهم في بيع الأطعمة الجاهزة أو الأقمشة المستعملة أو إدارة الفنادق المتواضعة وكانت صورة العربي من الجيل الأول والثاني لا يمكن تخيلها دون شاربين كثين طويلين.

وكان تجار القماش الصغار من العرب يتهمون بالغش في قياس طول النسيج إلا أن الكتّاب وصفوا صلابتهم ومقاومتهم للأحداث واستمرارهم على عاداتهم وسلوكهم في الجد واللهو ومن صفات التجار الصغار فصلهم بين الصداقة والتجارة فهم يتساهلون في كل شيء إلا في أمور المال.

وان الباعة المتجولين لا يبيعون فقط وإنما قد يشترون هم أيضًا النوادر كالنقود القديمة والذهب والفضة وفي أكثر من نص عرض جورج أمادو كيف يعرض العربي الجوال بضاعته وكيف يغري النساء والرجال بالشراء.

وهو قد يبيع أمام البيوت أو في السوق أو في الباص أيضًا ويحاول أن يغري من يشتري قماشه أو أشياءه الأخرى التي يحملها في حقيبة وهم يلبسون الملابس السميكة السوداء.

وتعكس الصورة العربية في هذه الروايات اهتمام العربي بالمال والمتعة والبعد عن السياسة ونجد العربي يضعف كذلك أمام الأشرار والقتلة واللصوص ونجدهم خانعين أمام النظم القاسية فقد يستغلهم هؤلاء وهؤلاء فيسلبون أموالهم ويمكن أن نفسر ذلك ان هؤلاء المهاجرين أُناس مسالمون تركوا بلادهم بسبب القسوة والاضطهاد فهم يهربون منهما أيضًا في الأرض الجديدة.

وفي **الباب الثاني** وفي فصوله الثلاثة تتضح الشخصية العربية إذ تظهر بأسمائها وهي في رقيها في السلم الاجتماعي وهنا تصبح الشخصية العربية فاعلة ومؤثرة في الحياة من حيث سلوكها وعاداتها وأحوالها العامة.

ففي **الفصل الأول من الباب الثاني** درسنا عددًا من الشخصيات الثانوية التي ظهرت في رواية تريزا باتيستا ورواية أرض ثمارها من ذهب لامادو ورواية في ساعة نحس لماركيز ففي رواية تريزا باتيستا نتعرّف على شخصية (جميل نجّار) طبيب الأسنان الذي يقوم بعملية إصلاح أسنان تريزا بعد المشاجرة التي حدثت ليلة افتتاح برنامجها الفني الجديد ويظهر في جماعة من البوهيميين اللاهين وكان يطمح أن ينال مأربًا من تريزا إلاّ أنه في الأخير يتزوج من ثرية وارثة أصلح لها أسنانها عددًا من المرّات.

ومن هذه الشخصيات طالب العلوم الاجتماعية والمصمم وبائع التحف (خليل شماس). لقد كان يعمل في دكان المتحف الذي يعود لوالده.

ويتميّز خليل بحماسته لوطنه الجديد في دفاعه عن تقاليده ورفضه الخضوع للحضارة الأوربية وكان صديقًا لاناليا إحدى بنات الهوى ومع حبه

لها وحبها له إلا أنه في الأخير يتخلّى عنها ليتزوج ابنة عم له.

أما شخصية (سقاف) فهي أقل عمقًا من الشخصيتين السابقتين. فان سقاف تاجر يبيع بالجملة والمفرد ويشتري كذلك المصوغات الذهبية وقد رشّح في إحدى المرات لمعاشرة تريزا.

ومن شخصيات رواية تريزا باتيستا العربية (ادغار فريز) المعروف بـ(السوري) وهو سائق تاكسي في منطقة باهيا وهو قد تخيل في إحدى المرات أن تمثال أحد الوطنيين البرازيليين قد اختفى من مكانه لفترة وجعل من ذلك حديثًا يحدث به ركاب التاكسي.

وفي ساعة نحس لماركيز تظهر شخصية (موسى السوري) صاحب دكان يبيع فيه مختلف الحاجات وكان الدكان ملتقى العمدة وبعض الأصدقاء وكان يسقيهم القهوة التي تصنعها زوجته الاسبانية في البيت وتناولها له من باب خلف الدكان ينفذ إلى بيته الذي يقيم فيه بعد العمل ولم يكن موسى مهتمًّا إلا بالتجارة فحين سأله الحلاق الذي يحلق له قائلاً: «حدثني بأمر واحد أيها التركي: إلى أي جانب تقف في نهاية الأمر فرد (السوري) دون ارتباك: إلى جانب نفسي».

وفي **الفصل الثاني من الباب الثاني** نلخص حياة شخصية واحدة في شخصية (نسيب أشقر سعد) كما عرضها بتفصيل ووضوح الروائي أمادو في رواية «غابرييلا»

هاجر نسيب إلى البرازيل مع والده وأمه ثريا واخته سلمى وعمره أربع سنوات إلا أن العائلة تمكّنت من الحصول على أوراق رسمية تثبت ولادة نسيب في البرازيل وكان نسيب من عائلة مسلمة وبعد أن مات أبوه أخذ حصته من دكان الأقمشة الذي كان يديره عمه واشترى حانة ومطعمًا وكان يطمح إلى شراء بعض الأرض لزراعة الكاكاو وعائلة آل أشقر عائلة مشهورة بأملاكها وقوتها فهي عائلة قد دخلت في الصراعات العنيفة حول الأرض ولذلك فقد تردّد نسيب كثيرًا عندما قرّر الزواج من غابرييلا خادمه التي كانت تخدمه في البيت وتعد الطعام للحانة وتزوجها خوفًا من أن يخطفها بعض الراغبين فيها.

ولكن هذه الفتاة البدائية التي لم تفهم إلاّ التعبير عن رغباتها الجسدية غدرت به وعجز نسيب عن قتلها كما تقتضي تقاليد الأزواج في البرازيل ووجد له اصدقاؤه مخرجًا بأن زواجه كان باطلاً بسبب تزوير أوراق غابرييلا التي تثبت شخصيتها وبذلك يكون نسيب وسلوكه هذا ذا أثر في الحكم على قاتل آخر للسبب نفسه في الوقت الذي كانت المحاكم لا تحاكم الزوج القاتل.

وتعود غابرييلا خادمًا في بيت الرجل الذي كان زوجها وتنتهي الرواية.

أما **في الفصل الثالث من الباب الثاني** فإننا نلخص حياة (سانتياغو ابراهيم نزار) ابن مزارع عربي يمتلك مزرعة كبيرة وكان أبوه قد ارتبط بزواج مصلحة من امرأة برازيلية.

كان شابًا مرحًا محبوبًا لجماله وسحر شخصيته وكان صديقًا لكل شباب المدينة التي يحيا فيها إلا أن تهمة تلصق به تؤدي به إلى القتل.

تزوّجت فتاة من رجل ثم أعادها في أول ليلة إلى أهلها لأنه لم يجدها عذراء وحين سألها أخواها عن الفاعل اتهمت سانتياغو نزار الذي لم يثبت عليه هذه التهمة أحد أبدًا ولم تلصقها به غير الفتاة وتعرض للقتل بسبب ذلك.

وتدور الرواية كلها على تركيب تلك الجريمة وبنائها ووصف مشهد القتل المرعب. كما انّ الرواية ترسم صورة داخلية لحياة العرب الخاصة وتؤكد عدم قدرة الجالية العربية على الانتقام لمقتل سانتياغو نزار حيث وجدوا ان القانون هو الطريق الوحيد إلى فض القضية.

وأشعر ان في أعماق ذهني الكاتبين ماركيز وأمادو نوعًا من العتاب المختلط بالحب ومن خيبة الأمل.

ان ضعف رد الفعل العربي ضد جريمة القتل في رواية ماركيز وتقاعس الجالية العربية في الوعي للدفاع عن الشاب قبل قتله أو الانتقام له بعد القتل قد خيّب الظن فيمن يحمل الهيبة للعرب والاحترام المبني على الصورة المحمولة عنهم.

وأشعر أن الخيبة نفسها كانت ترد عند امادو في رواية غابرييلا حيث عجز عن الانتقام بالرصاص العربي نسيب الذي كان يدعي بأنه كثير الغيرة كما هم قومه حيث يتخاذل وينوي الهرب من مدينته ولم يستطع قتل المعتدي على بيته. ان كلا الكاتبين كما يبدو لي كانا يشعران بذلك مع المرارة ولكن حبهما للعربي أو عدم رغبتهما في إثارة كراهية العرب جعلهما يحرفان الأحداث على أن ما حدث كان نوعًا من المسالمة أو التحضر.

نجد من مجمل ما قرأناه أن شخصية العربي تقوم على بعض المرتكزات المهمة في روايات هؤلاء الكتّاب؟

١ - الشخصية العربية شخصية جذابة في المظهر أو السلوك وذات سحر خاص بها ينبع من خلق متحضر.

٢ - الشخصية العربية ذات ميل إلى العمل الدائب في التجارة أو الأرض وذات طموح إلى الغنى أو الكسب ولذلك يتزوج الناجحون منهم من النساء الأجنبيات من العائلات الثرية والمتنفذة زواج مصلحة أو يتزوجون من قريباتهم وبنات أعمامهم حفاظًا على رضا العائلة عنهم وتجنبًا لمشاكل قد تحدثها تصرفات الزوجة الأجنبية ذات الأصول الفقيرة إذ إن حصانة المرأة الأجنبية في امريكا اللاتينية ليست بقوة حصانة المرأة العربية. ولم يطمح كثير من العرب إلاّ القلة إلى العمل السياسي بسبب الرواسب النفسية التي حملوها معهم من وطنهم الأول.

٣ - ان الشخصية العربية شخصية مسالمة كان سلوكها نقطة تحول في تغيير بعض العادات في تلك المجتمعات مثل استعمال القوة والانتقام والثأر وهي صفات قد تتعارض مع أطباع هؤلاء المهاجرين المسالمة الذين تركوا بيئتهم المضطربة لغرض العيش في مجتمعات تحقق لهم السعادة التي لم يجدوها في وطنهم الأول.

وإذا نظرنا في الملحق رقم (١) الذي سلسلنا فيه تاريخ ظهور الروايات المستعملة في هذا البحث نجد ان ظهور الصورة العربية تمتد من العقد الثالث من هذا القرن حتى العقد الثامن منه وفي الواقع ان تاريخ طبع الرواية هو ليس تاريخ وقوع الحدث فإن امادو ينص في رواية «غابرييلا» المطبوعة عام ١٩٥٨

على أن عام حدوث الحدث هو عام ١٩٢٥ ويذكر ماركيز إلى روايته «وقائع موت معلن» المطبوعة عام ١٩٨١ في إحدى مقابلاته ويعلمنا أن حكايتها حقيقية وقد وقعت عام ١٩٥١ وهي أحدث روايات امريكا اللاتينية في هذا البحث.

وبذلك يبعد الحدث الحقيقي في هذه الرواية عن تاريخ الطبع بثلاثين سنة وحوالي اثنتين وأربعين سنة من عام ١٩٩٢ ويتحدد ظهور الشخصية العربية في المترجم من هذه الروايات بمنتصف القرن الحالي ولا بد أن يثار هنا سؤلان هما:

أولهما: ما وضع صورة الشخصية العربية في أدب القرن التاسع عشر والعقود الثلاثة الأولى من القرن العشرين؟

وثانيهما: هل تستمر الصورة العربية في روايات المستقبل في أدب امريكا اللاتينية؟ في سبيل الوصول إلى حقيقة قاطعة عن هذين السؤالين كان يجب بالنسبة للسؤال الأول سَبْرَ بعض نماذجَ الأدب اللاتيني منذ القرن التاسع عشر لنتأكد من تاريخ ظهور صورة الشخصية العربية في هذا الأدب وهذا غير ممكن إذ لم أتمكن من السفر إلى تلك القارة لأكون على صلة قريبة بالنماذج الأدبية. أما بالنسبة للسؤال الثاني فانه كان يجب علينا ملاحظة ما عليه المجتمع العربي القائم حاليًا في أمريكا اللاتينية وهل له القابلية على الذوبان السريع في هذا الخزان الهائل من القوميات والألوان والأديان والعقائد وهذا أيضا يرتبط بالسفر الذي حرمنا منه. وإذا كان من حق الباحث أن يستشرف المستقبل حدسا وظنا كمن رأى ومن سمع فاني أتوقع أن تستمر صورة الشخصية العربية في روايات امريكا اللاتينية إلى ما بعد القرن العشرين لأسباب منها:

١ - الهجرة والنقلة المستمرة من البلاد العربية إلى الخارج بحثًا عن حياة أكثر رفاهية وأكثر حرية وأمنًا واحترامًا لحقوق الإنسان.
٢ - وجود مجتمع عربي ضخم من المقيمين في أمريكا اللاتينية وان مثل هذا المجتمع لا تسهل اذابته في المجتمع اللاتيني الجديد. فإن ابتلاع عدد ضخم من الجاليات ليس سهلاً كما يسهل ابتلاع الأفراد أو العوائل

المعزولة المحاصرة بثقافة مغايرة ولا يأكل الذئب إلا من الغنم القاصية كما قال الرسول العربي الكريم.

والحمد لله أولاً وآخرًا.

داود سلوم

بغداد ١٩٩٢

الملحق رقم (١)

جدول زمني متسلسل لظهور الروايات

تاريخ الصدور	الرواية	الكاتب
١٩٣٣	أرض ثمارها من ذهب	جورج أمادو
١٩٤٦	المحصول الأحمر (دروب الجوع وطرق الأمل)	جورج أمادو
١٩٤٦	السيد الرئيس	استورياس
١٩٥٨	غابرييلا[١]	جورج أمادو
١٩٦٢	في ساعة نحس	ماركيز
١٩٦٢	مأتم الأم الكبيرة	ماركيز
١٩٦٢	ليس لدى الكولونيل من يكاتبه	ماركيز
١٩٦٧	مائة عام من العزلة	ماركيز
١٩٧٤	تريزا باتيستا	أمادو
١٩٧٥	خريف البطريرك	ماركيز
١٩٨١	وقائع موت معلن[٢]	ماركيز

(١) وقعت أحداثها كما ذكر الكاتب في مطلعها عام ١٩٢٥ (غابرييلا ص ٢٤).

(٢) وقعت أحداثها الحقيقية عام ١٩٥١ كما ذكر الكاتب في إحدى المقابلات (رائحة الجوافة ص ٣٤).

الملحق رقم (٢)

جدول بأسماء الكتّاب وتسلسل تاريخ ظهور رواياتهم

الكاتب	الرواية	تاريخ صدورها الأول
ماركيز[١] (ولد سنة ١٩٢٨)	في ساعة نحس	١٩٦٢
	مأتم الأم الكبيرة	١٩٦٢
	ليس لدى الكولونيل من يكاتبه	١٩٦٢
	مائة عام من العزلة	١٩٦٧
	خريف البطريرك	١٩٧٥
	وقائع موت معلن	١٩٨١
جورج أمادو (ولد سنة ١٩١٢)	أرض ثمارها من ذهب	١٩٣٣
	المحصول الأحمر (دروب الجوع وطرق الأمل)	١٩٤٦
	غابرييلا	١٩٥٨
	تريزا باتيستا	١٩٧٤
استورياس (١٨٩٩ـ ١٩٧٤)	السيد الرئيس	١٩٤٦

(١) حاز على جائزة نوبل عام ١٩٨٥.

الملحق رقم (٣)

خارطة توزيع الروايات التي ذكرت الشخصية العربية
(البرازيل، كولومبيا، غواتيمالا)



المراجع والمصادر

أ - الدراسات:

أدب أمريكا الحديث: د.ب غالغر ترجمة محمد جعفر داود. بغداد ط ٢ـ ١٩٨٦م.

أدب أمريكا اللاتينية: قضايا ومشكلات: تنسيق وتقديم سيزار فرناندث مورينو. ترجمه عن الإسبانية أحمد حسّان عبد الواحد. كتاب عالم المعرفة العدد ١١٦. الكويت (آب ١٩٧٨م).

الأدب المقارن: فان تيجم، ترجمة سامي الدروبي. دار الفكر العربي. ط ـ القاهرة د.ت.

الأدب المقارن: ماريوس فرانسوا جوبار. ترجمة الدكتور محمد غلاّب. القاهرة ١٩٥٦م.

الأدب المقارن: كلود بيشوا وأندريه ميشيل روسو. ترجمة الدكتور رجاء عبد المنعم جبر. الكويت ١٩٨٠م.

الأدب المقارن: الدكتور محمد غنيمي هلال، ط ٣، القاهرة ١٩٦٢.

الأدب المقارن بين النظرية والتطبيق: الدكتور رجاء عبد المنعم جبر. القاهرة ١٩٨٦م.

الأدب المقارن، الجزء الأول في النظرية والمنهج: الدكتور حسام الخطيب. دمشق ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

تطور النقد والتفكير الأدبي الحديث في الربع الأول من القرن العشرين: الدكتور حلمي رزوق. بيروت ١٩٨٢.

حركة التجديد الشعري في المهجر بين النظرية والتطبيق: عبد الحكيم بلبع. القاهرة ١٩٨٠.

الدراسات الأدبية المقارنة (مدخل): اس. اس. براور. ترجمة عارف حذيفة. دمشق ١٩٨٦.

دراسات في اللغة والأدب والحياة (القسم الأول): الدكتور محمود الربداوي. بيروت ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠.

رائحة الجوافة: غابرييل غارسيا ماركيز (حوارات): بلينيو أبوليو مندوزا: ترجمة فكري بكر محمود. دار منارات للنشر. بيروت ط ـ ١٩٨٩.

مبادئ علم الأدب المقارن: ألكساندر ديما. ترجمة الدكتور محمد يونس. بغداد ١٩٨٧.

مدخل إلى الأدب المقارن وتطبيقه على ألف ليلة وليلة: الدكتور محمد طرشونة. تونس ١٩٨٦.

المدن الفنيقية: الدكتور أبو المحاسن عصفور. بيروت.

ميثاق ١٩٤٣ لماذا كان؟ وهل سقط؟: باسم الجسر. دار النهار. بيروت ١٩٧٨.

ب - الروايات والنصوص:

أرض ثمارها الذهب: جورج أمادو. ترجمة أحمد غريبة. دار الفارابي. ط١ـ١٩٨١ (من البرازيل).

تقرير برودي وقصص أخرى: خورخي لويس بورخس. ترجمة نهاد الحايك. وزارة الثقافة والإعلام. بغداد ١٩٨٨ (من الأرجنتين).

تيريزا باتيسيا: جورج أمادو. ترجمة عوني الديري. نشر وتوزيع شركة المعرفة للنشر والتوزيع. بغداد ط ـ ١٩٨٩ (من البرازيل).

حكايات حارتنا: نجيب محفوظ. القاهرة ١٩٧٥.

خريف البطريرك: غابرييل غارسيا ماركيز. ترجمة محمد علي اليوسفي. دار الكلمة للنشر، ط ٢ـ بيروت ١٩٨١ (من كولمبيا).

دروب الجوع: جورجي أمادو ترجمة بهجت شعبان. بيروت ط ٣ـ ١٩٨٥

(من البرازيل).
السيد الرئيس: ميغيل أنغل استورياس. ترجمة ماهر البطوطي. منشورات المكتبة العالمية بغداد ط ٢ = ١٩٨٦ (من غواتيمالا ـ أمريكا الوسطى).
غابرييلا (قرنفل وقرفة): جورجي أمادو ترجمة عوض شعبان دار الفارابي. بيروت (من البرازيل).
في ساعة نحس: غارسيا ماركيز، ترجمة كامل يوسف حسين. منشورات وزارة الثقافة والإعلام بغداد ١٩٨٢ (من كولومبيا).
ليس لدى الكولونيل من يكاتبه: غابرييل غارسيا ماركيز، ترجمة صالح علماني. دار الفارابي بيروت ط ١ـ ١٩٨٠ (من كولومبيا).
مائة عام من العزلة: غابرييل غارسيا ماركيز ـ ترجمة د. سامي الجندي وانعام الجندي. دار الكلمة للنشر. بيروت ط ٤ـ ١٩٨٣ (من كولومبيا).
مأتم الأم الكبيرة: غابرييل غارسيا ماركيز. ترجمة الدكتور فاضل السعدوني. مكتبة اليقظة العربية. بغداد ١٩٨٦ (من كولومبيا).
مستشفى المجاذيب: ماشادو دي أسيس (١٨٣٩ـ ١٩٠٨) ترجمة سالم علي سالم. بيروت ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م (من البرازيل).
المحصول الأحمر: (ق١ دروب الجوع وق٢ طرق الأمل): جورجي أمادو. ترجمة عوض شعبان. دار الفارابي. بيروت ١٩٨٨ (من البرازيل).
مملكة هذا العالم: اليخو كاربنتييه (١٩٠٤ـ ١٩٨٠) ترجمة محمد علي اليوسفي. بيروت ١٩٨٢ (من هافانا ـ كوبا).
وقائع موت معلن: غابرييل غارسيا ماركيز. ترجمة كامل عويد العامري. المكتبة العالمية. بغداد ١٩٩٠ (من كولومبيا).

جـ - المصادر القديمة:

الأنياذة لفرجيليوس: ترجمة كمال ممدوح حمدي وآخرين جـ ١ وجـ ٢، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، طبع الجزء الأول في القاهرة عام ١٩٧١ والجزء الثاني عام ١٩٧٧ (انظر الكتاب الرابع، الجزء الأول ص ٢٠٢ـ ٢٣٤. ترجمة محمد حمدي ابراهيم).

فهرس

الصفحة



